لباس الرسول ﷺ والصحابة والصحابيات رضي الله عنهم أجمعين

فصل خاص بلباس النساء وزينتهن

أبو طلحة محمد يونس بن عبد الستار

Mobile : 05 333 22 86

تليفون : ٨٣٦٨٣٨٢ـ ٤ / ٨٣٨٠٥٣٧ـ ٤ جوال : ٠٥٣٣٣٢٢٨٦
Mobile : 05 333 22 86 Tel: 4-8380537 - 8368382

ح أبو طلحة محمد يونس عبدالستار ، ١٤٢٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
عبدالستار ، أبو طلحة محمد يونس
لباس الرسول ﷺ والصحابة والصحابيات رضي الله عنهم
أبوطلحة محمد يونس عبدالستار - المدينة المنورة ، ١٤٢٤هـ
١٨٠ ص ، ١٧X٢٥ سم
ردمك ٥ - ٢٥٠ - ١٠ - ٩٩٦٠
١ - الملابس الإسلامية - السيرة النبوية . العنوان
ديوى ٣٩١ ١٤٢٤/٢٤٤٥
رقم الإيداع : ١٤٢٤/٢٤٤٥
ردمك ٥ - ٢٥٠ - ١٠ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى : ١٤٢٤هـ
مطابع الوحيد - مكة المكرمة
عنوان الطلب
جوال ٠٥٨٧٢٨٧٩٧ ، ت ٥٤٤١٠٧٢ مكة المكرمة
ت ٠٤/٨٣٦٨٣٨٢ - ٠٤/٨٣٨٠٥٣٧
جوال ٠٥ ٣٣٣ ٢٢ ٨٦ (المدينة المنورة)

قال أبو طلحة

الإنسان مركب من الخطأ والنسيان ، فما وقع في كتابنا هذا من الخطأ فهو مني ومن الشيطان الرجيم والذي أرجوه من القراء الكرام أن يقوموا بواجبهم بالنصح حتى نستدرك ما وقعنا فيه ، ونتعلم منهم فليس المرء يولد عالماً وفوق كل ذي علم عليم

مقدمة الكتاب

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

الحمد لله الذي امتن على عباده بما جعل لهم من اللباس وخاطبهم بقوله سبحانه : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ . (الأعراف : ٢٦) .

وفي قوله تعالى : ﴿لباس التقوي ذلك خير﴾ قال القرطبي رحمه الله : بيّن أن التقوى خير لباس كما قال :

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى
تقلب عرياناً وإن كانا كاسياً
وخير لباس المرء طاعة ربه
ولا خير فيمن كان لله عاصياً اهـ

وقال أحدهم :

إذا المرء لم يدنس من اللوم عِرضه
فكل رداء يرتديه جميل

﴿ولباس التقوى﴾ (هو) الحياء ، وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : هو العمل الصالح ، وقيل : لباس التقوي : لبس الصوف والخشن من الثياب ، مما يتواضع به لله تعالى ويتعبد له خير من غيره. (إلى آخر ما ذكره القرطبي في أحكام القرآن ١١٩/٧) .

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

﴿وَكَيفَ تكفُرُونَ وَانتم تتلى عَليكُم آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُم رَسُولهُ وَمَن يَعتصِم بِاللَّهِ فقَد هُدِيَ اِلى صِرَاطٍ مّستقِيم﴾ (آل عمران : ١٠٢) .

أما بعد : (.. فإن الله عز وجل أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فاختار لذلك محمدا ﷺ من بين الناس وأعده ﷺ لهذه الغاية العظيمة والمهمة الجسيمة ، فأدبه فأحسن تأديبه ، وعلمه فأحسن تعليمه ، وزكاه وطهّره ، وجمع له ﷺ من حسن الهيئة ، ووقار السمت ، وجميل الأدب ، ونبيل الخلق وسعة الصدر ، وكرم النفس ، فسبحان من خلقه فسواه فعدله على هذا المنهج السوي السنيّ العليّ ، وجعله قدوة للعالمين ، وأسوة للصالحين وسيدهم صلوات الله وسلامه عليه .

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخرَ وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب : ٢١) .

وقد حرص أصحاب النبي ﷺ وهم الذين عاينوا سيرته ، وابتلوا عشرته ﷺ فتفيّئوا ظلال خلقه الكريم وأدبه العظيم

على أن ينقلوا إلى أجيال المسلمين من بعدهم ما رأوا من حالـه ﷺ وما سمعوا من مقاله ﷺ أداء لرسالة العلم وأمانة تبليغ الدين .

وتابعهم على النقل والرواية التابعون لهم حتى نهض أهل العلم من بعدهم بتدوين السنن والآثار وصنفوا في ذلك الكتب والمصنفات المختلفة ، ومنهم من أفرد شمائله وأخلاقه ﷺ في مصنفات مستقلة فجزاهم الله جزاء الأبرار وأجر الأخيار) .

(مابين القوسين من كتاب «أخلاق النبي ﷺ للدمياطي رحمه الله بتصرف يسير».

أما كتابنا هذا فأبين فيه صفة لباسه ﷺ ولباس أصحابه من الرجال والنساء رضي الله عنهم . وأذكر فيه بعض الآداب المتعلقة بلباس الرجال والنساء إن شاء الله .

واعلم أن الكتاب مشتمل على بابين رئيسين :

فالباب الأول مشتمل على (٤) فصول الآتية :

فالفصل الأول : أذكر فيه أهمية السنة المطهرة في ضوء الكتاب والسنة ، وذلك للترغيب فيها واختيارها في جميع شئون الحياة .

والفصل الثاني : أذكر فيه صفة لباس الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم وآداب لبسه .

والفصل الثالث : فصل هام جدا : في لباس الصحابيات رضي الله عنهن وهو خاص بلباس النساء وزينتهن ، أذكر فيه صفة لباس الصحابيات رضي الله عنهن وإجتنابهن عن التبرج تبرج الجاهلية الأولى ، لكي يسهل على بنات الإسلام الإقتداء بهن رضي الله عنهن ، لأنهن : إمّا أمهات أصحاب الرسول ﷺ أو بناتهم ، أو أزواجهم رضي الله عنهم وقد قال تعالى في شأنهم : ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ (التوبة : ١٠٠) .

والفصل الرابع : نذكر فيه صفة لباس أهل الجنة وحليهم ومناديلهم وفرشهم وسررهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم وآرائكهم وغير ذلك من حسن الجنة وجمال أهلها من الرجال والنساء . (إن شاء الله) .

والباب الثاني : أذكر فيه نبذة من عيش النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم .

وكما لا يخفى على أحد أنه انتشر في السنوات الأخيره مظاهر خلل كبير في اللباس ، وبدأت الأسواق تلفظ ألواناً من الألبسة الخارجية السيئة ، والعباءات المتبرجة ، ثم تزايدت هذه المخالفات الشرعية وعرفها كثير من النساء بسبب الجهل أو كثرة المساس، وكثرة المساس تميت الإحساس كما يقال ، وأصبح نقص الوعي في أحكام لباس المرأة سيمة عامة بين النساء حتى بين كثير من الصالحات، فأردت بهذا الكتاب إبراء الذمة والاعتذار إلى الله ومحاولة الإصلاح مما حل بواقع الرجال والنساء في هذا المجال.

لا يفوتني أن أنوه بالذكر والشكر لأم محمد حفظها الله - امرأة - تحب الله ورسوله ﷺ - من نساء المدينة النبوية على صاحبها الصلاة والتحية - التي شجعتني على إخراج هذا الكتاب وذلك نصيحة لبنات الإسلام خاصة ولرجاله من الناس عامة .

ولئن قصرت في توفية حقها من الثناء والشكر فإنني أسأل الله عز وجل وأقول : ربِّ ابن لها عندك بيتاً في الجنة واسقها ولجميع المسلمين والمسلمات من لبن لم يتغير طعمه . آمين .

هذا وأسأل الله سبحانه أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبل منا وينفعنا بما علمنا ، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

أبو طلحة

الباب الأول

وفيه (٤) فصول

الفصل الأول : السوق إلى الشوق في اختيار السنة المطهرة والترغيب فيها

الفصل الثاني : صفة لباس الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم

الفصل الثالث : فصل هام جدا في لباس الصحابيات رضي الله عنهن وهو خاص بلباس النساء وزينتهن

الفصل الرابع : لباس أهل الجنة وحليهم ومناديلهم وفرشهم وسررهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم

الفصل الأول

السَّــــوق إلى الشَّــــوق
في اختيار السنة المطهرة والترغيب فيها

♥ قبل أن أبـدأ في موضـوع الكتـاب ، أود أن أذكـر أهميـة السـنة المطهرة في ضوء الكتاب والسـنة ، وذلـك للـترغيب فيـها واختيارهـا في جميـع شـئون الحيـاة . وفقـني الله وإيـاكم لذلـك فـأقول وبـالله التوفيق والسداد :

أيها الأخ الكريم والأخت الكريمـة ! اعلـم يقينـاً أن المـراد مـن استماع نصيحة أو موعظة أو مطالعة كتاب هـو : مطابقـة النفـس ومقارنتها مع أوامر القرآن الكريم وهدي الحبيب المصطفـى ﷺ ، وهو علاج للمرض أيضاً ، وإصلاح للنفـس حيـث انـه كلمـا أتيحـت لك فرصـة لاسـتماع الوعـظ أو مطالعـة كتـاب فـارجع إلى نفسـك ، فإن وجدت فيها الميل إلى البر والتقـوى فـاحمد الله علـى ذلـك ، وإذا لم تجدها مشتاقة إلى الحسنات ، فالحذر الحذر من قولـه سـبحانه : ﴿أولئك الذين لم يـرد الله أن يطـهر قلوبـهم ، لهـم في الدنيـا خـزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ (المائدة : ٤١ — ٤٢) .

♥ وهـذا ربنـا الرحمـن يخاطبنـا بنـداء الإيمـان ، يدعونـا إلى طاعته وطاعة رسوله ﷺ قائلا : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعـوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتـم تسمعون ، ولا تكونـوا كـالذين قـالوا سمعنا وهم لا يسمعون ، إن شر الدواب عند الله الصم البكـم الذيـن لا يعقلون﴾ (الأنفال : ٢٠- ٢٢) .

وقال رب العزة والجلال : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب : ٢١) .

فلا بد من وجوب الاتباع وامتثال سنته والاقتداء بهديه ﷺ فقد قال تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (آل عمران : ٣١) .

وقال تعالى : ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ (الأعراف : ١٥٨) .

قال القاضي رحمه الله في الشفاء الجزء ٢ ص ٨ : قال محمد ابن علي الترمذي : الأسوة في الرسول ﷺ الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته ﷺ في قول أو فعل .

وعن عطاء في قوله تعالى : ﴿فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول﴾ (النساء : ٥٩) أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقال الشافعي رحمه الله : ليس في سنة رسول الله ﷺ إلا اتباعها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «المتمسك بسنتي عند فساد أمتي ، له أجر مائة شهيد» اهـ من الشفاء .

وذكر القاضي في الشفاء ١٥/٢ أيضا : رؤي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يدبر ناقته في مكان ، فسئل عنه فقال : لا أدري إلا أني رأيت رسول الله ﷺ فعله ففعلته .

وذكر أيضا في الشفاء : ١٢/٢ : قال ﷺ : «إن الله تعالى يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها» اهـ .

وذكر صاحب المرقاة في ٤٧/٢ قول الطيبي رحمه الله في أهمية السنة النبوية شارحا لقوله ﷺ : «ثلاثة لا تقربهم الملائكة ... (منهم) ... والمتضمخ بالخلوق ..» (الحديث ، رواه أبو داود كما في المشكاة باب مخالطة الجنب وما يباح له) .

قوله : «والمتضمخ بالخلوق» أي الرجل المتلطخ بالخلوق وهو طِيْب له صبغ يتخذ من الزعفران وغيره ، وتغلب عليه حمرة مع صفرة ، والنهي مختص بالرجال دون النساء ، وإنما لم تقربه الملائكة للتوسع في الرعونة والتشبه بالنساء ، قاله ابن الملك .

♥ ثم قال : وقال الطيبي رحمه الله : **وفيه إشعار بأن من خالف السنة وإن كان في الظاهر مزيناً مطيباً مكرماً عند الناس ، فهو في الحقيقة نجس أخس من الكلب** اهـ .

قلت : فلينظر ـ إلى هذا المذكور ـ المزين والمطيب والمكرم عند الناس من الرجال والنساء إذا كانت زينته وجماله ما يخالف السنة المطهرة .

وفي الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال : «.. وقد قال تعالى في كتابه : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ (النساء : ٦٥) فكل من خرج من سنة رسول الله ﷺ وشريعته ، فقد أقسم الله بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله ﷺ في جميع ما يشجر بينهم من أمور الدين والدنيا ، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه ﷺ . ودلائل القرآن على هذا الأصل كثيرة» . اهـ قوله رحمه الله.

قصة عجيبة : أحبتي وأصحابي : اعلموا أن كل عمل كان على هديه ﷺ ومنهجه وصورته فهو مقبول عند الله سبحانه لأنه ﷺ محبوب رب العالمين ، والمقرون بالمحبوب محبوب .

♥♥ ذكر الشيخ التهانوي رحمه الله قصة صديقة الذي كان يعمل محاميا في المحكمة الكبرى في الهند ، فقال : ذكر لي صديقي : أنه دخل السوق ذات يوم ، إذ رأتني امرأة عجوز ، وكان بيتها في السوق ، فأخذت بيدي ، وأدخلتني بيتها ، وأكرمتني بضيافة فريدة لم أر مثلها ، فلما فرغتُ من الضيافة ، واستأذنت للخروج ، قالت : لا بأس ، أرجوك يا بنيّ ! ألاّ تحرمني من زيارتك كلما نزلت إلى السوق .

قال : فسألت العجوز ، يا عمتي ! ما حملك على مثل هذه الضيافة والإكرام مع رجل ليست بينك وبينه أيّ معرفة ولا علاقة؟

قالت : يا بنيّ ! إن أحد أبنائي وفلذة كبدي : صورته مثل صورتك ، ودمه مثل دمك ، ومشيته مثل مشيتك ، وهو غائب عني منذ زمن بعيد ، في الديار الأجنبية ، فلما رأيتك تذكرت إبني هذا ، فتحركت المحبة التي في قلبي إزاء ابني ، فلم أتمالك نفسي حتى دعوتك في بيتي لراحة قلبي وسروره ، وأكرمتك بضيافة كما رأيتني ، وبالله عليك يا بنيّ ! لا تحرمني من زيارتك مرة ثانية وثالثة وهكذا ، فقال : فأصبحت كلما أدخل السوق أزور هذه العجوز ، وذلك لتأليف قلبها ، وكانت العجوز تكرمني مثل إكرامها السالف. انتهت القصة .

♥ فتأمل أيها المسلم والمسلمة ! شفقة العجوز ورحمتها وحبها لشبيه ولدها وفلذة كبدها صورة ودماً ومشياً .

ثم تأمل قوله ﷺ : « لله أرحم بعبادة من الوالدة بولدها» أين تقع رحمة الوالدة مع رحمة الله التي وسعت كل شيء؟

فإذا كانت صورة الولد وشبيهه أحب الأشياء عند هذه العجوز ، فكيف لا تكون صورة عبادة محبوبه وأعماله ﷺ أحب الأشياء عنده سبحانه ؟ وقد علمه سبحانه أحسن تعليم ، وأدّبه سبحانه أحسن تأديب وهو رب عظيم ، وزيّن هذا النبي العظيم ﷺ بخُلق عظيم ، وأعلن بذلك في كتابه العظيم قائلا : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم : ٤)

وقال رسول الله ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم » الحديث

(رواه أحمد وأبو داود وإسناده حسن كما في المشكاة كتاب اللباس رقم الحديث : ٤٣٤٧)

قال في المرقاة : ٢٥٥/٨ : قوله ﷺ : «فهو منهم» أي في الإثم والخير ، قال الطيبي : هذا عام في الخلق والخُلق والشعار ، ولما كان الشعار أظهر في الشبه ذكر في هذا الباب . قلت : بل الشعار هو

المراد بالتشبه لا غير ، فإن الخلق الصوري لا يتصور في التشبه ، والخلق المعنوي لا يقال فيه التشبه بل هو التخلق .

حكاية عجيبة في التشبه : ثم قال : هذا وقد حكي حكاية غريبة ولطيفة عجيبة وهي أنه لما أغرق الله سبحانه فرعون وآله لم يغرق مسخرته الذي كان يحاكي سيدنا موسى ﷺ في لبسه وكلامه ومقالاته، فيضحك فرعون وقومه من حركاته وسكناته ، وتضرع موسى إلى ربه : يارب هذا كان يؤذيني أكثر من بقية آل فرعون ، **فقال الرب تعالى : ما أغرقناه فإنه كان لابساً مثل لباسك والحبيب لا يعذب من كان على صورة الحبيب** . (سبحان الله) .

فانظر من كان متشبها بأهل الحق على قصد الباطل حصل له نجاة صورية وربما أدت إلى النجاة المعنوية ، فكيف بمن تشبه بأنبيائه وأوليائه (سيد الأنبياء وسيد الأولياء محمد المصطفى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) على قصد التشرف والتعظيم .. الخ ما ذكره صاحب المرقاة رحمه الله .

وأنشد بعضهم :

تشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

♥ وقال الشيخ التهانوي رحمه الله : نرى بعض الناس اليوم لا يهتمون بالفرائض ولا بسنن الحبيب المصطفى ﷺ ، وقال : هب أنه لو يوضع أمام هؤلاء مصحف مبارك في جهة ، وقميصه ﷺ - الذي لبسه ﷺ - في جهة أخرى ، ثم يقال له : اختر لنفسك ما شئت منهما ؟ فانظر إلى أين يميل القلب ؟ ءإلى القرآن الكريم أم إلى القميص المبارك ؟ - وإن كان القرآن معطر بطيب أنفاس الحق الوهاب بما يليق بجلاله وعظمته ، وهو كلام الله الذي ليس كمثله شيء ، وفضله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه - تعظيمه واجب على كل مسلم من ناحية العقيدة والعمل به لكن الإنسان يختار للقميص أسلوبا في أخذه ما لا يختاره للقرآن الكريم - مع أن القرآن قد رسخ حبه في قلب المؤمن - ولا يعتبر أسلوبه

هذا مع القميص شركا ولا بدعة ، لأن الإنسان ليس بقادر على خلاف ذلك من حيث الفطرة التي فطره الله عليها ، ومن المعروف : « أن الجنس يميل إلى الجنس »

نعم ! إذا كان هذا الأسلوب قد تجاوز الحدود الشرعية ، يعتبر بدعة وضلالة ، وكل ضلالة في النار . (نعوذ بالله من ذلك).

فالغرض من ذكر هذا التمثيل هو : أننا لما نتأثر من ملبوساته ﷺ إلى هذا الحد، ونؤثرها على غيرها من الأشياء، ونحبها حبا لا يعدلها حب ، ونختار لها أسلوبا فريدا ما لا نختاره لغيرها ، فلماذا لا نختار الأسلوب نفسه مع أعمال المصطفى ﷺ وسننه المباركة التي مصدرها ومنبعها جسده ﷺ المبارك الطاهر المطهر الزكي ـ فاستفت قلبك يا عبد الله ويا أمة الله ؟

ومن المعلوم أن المحب الصادق يحب كل من كان منسوبا إلى حبيبه من الصورة والسيرة واللباس والهيئة ، وكذلك يحب حركاته وسكناته وقيامه وقعوده ، **حتى يحب داره وجداره وكساءه ورداءه وإزاره** .

فالذي يؤمن بالله ورسوله ﷺ ، يكون الله ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما ، وهذه المحبة لا محالة تضطر صاحبها إلى اتباع الرسول ﷺ في شئونه كلها – إن شاء الله – قال تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (آل عمران:٣١).

وإن لم تدفع المحبة إلى عمل مندوب أو منسوب إلى حبيبه ﷺ ، فكيف تدفع إلى اتباع السنة والوجوب ، فما هو إلا ادعاء للمحبة وليست بالمحبة ، وفي مثل ذلك أنشدوا :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمري في الفعال شنيع
لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

وإن كان دعوى المحبة جائزة مع المحبوب ، ولكن حال المحب وأعماله تخبر عن كذب دعواه هذه وصدقها، وفي مثل ذلك أنشدوا :

وجائزة دعوى المحبة في الهوى   ولكن لا يخفى كلام المنافق

♥ وقال صاحب «أتحاف السادة المتقين» ٤٥٩/٤ : « ولا شك أن من ترك شيئا من إتباع الرسول ﷺ فإنه ينقص من محبة الله إياه على قدر ما نقص من اتباع الرسول ﷺ ، وعند أهل الله : لو اتبعه في جميع أموره ، وأخل بالإتباع في أمر واحد ما اتبعه قط وإنما اتبع هوى نفسه . اهـ

ومن علامة محبته ﷺ محبة الرجل والمرأة لكل ما يحبه النبي ﷺ ، وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء ٢٧/٢ فقال :

« فبالحقيقة من أحب شيئا أحب كل شيء يحبه ، وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس ، وقد قال أنس رضي الله عنه حين رأى النبي ﷺ يتتبع الدباء من حوالي القصعة ، فما زلت أحب الدباء من يومئذ اهـ

♥ **وهـــذا** سيدنا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما كانا يزوران أم أيمن مولاة النبي ﷺ ويقولان : كان رسول الله ﷺ يزورها .

ولما وردت حليمة السعدية رضي الله عنها على النبي ﷺ بسط لها رداءه ، وقضى حاجتها ، فلما توفى ﷺ وفدت على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فصنعا بها مثل ذلك . اهـ من الشفاء .

♥ **وهـــذا** سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يضحك لما رآه النبي ﷺ يضحك كما ذكره ابن تيمية رحمه الله في «الكلم الطيب» في فصل ركوب الدابة عن علي رضي الله عنه وفيه :

« ... ثم ضحك فقيل : يا أمير المؤمنين من أي شي ضحكت ؟! قال : إني رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت ، ثم ضحك ، فقلت : يا رسول الله ! من أي شيء ضحكت ؟ قال : « إن ربك سبحانه وتعالى يعجب من عبده إذا قال : « رب اغفرلي ذنوبي » يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري » . (خرجه أبو داود ، والنسائي والترمذي وقال : حديث حسن صحيح اهـ). والأحاديث في ذلك كثيرة تركناها للاختصار .

♥ **وهـــذا** الإمام أحمد رحمه الله تعالى يقول : ما كتبت حديثا إلا وقد عملت به ، حتى مر بي أن النبي ﷺ احتجم

وأعطى أبا طيبة دينارا ، فاحتجمت وأعطيت الحجام دينارا .

(كما في بذل المجهود في شرح سنن أبي داود للشيخ خليل أحمد السهارنفوري رحمه الله قلت : وأصله في صحيح مسلم رقم ٣٩٩٢) » .

♥ **حكاية عجيبة** : وذكر القاضي في الشفا : ١٦/٢ : وحكي عن أحمد بن حنبل قال : كنت يوما مع جماعة ، تجردوا ودخلوا الماء ، فاستعملت الحديث : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر» ولم أتجرد ، فرأيت تلك الليلة قائلا لي : « يا أحمد ! أبشر، فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة، وجعلك إماما يقتدى بك ، قلت : من أنت ؟ قال : (أنا) جبريل » . اهـ

قال أبو طلحة : والحديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر الخ » (ذكره ابن حبان في صحيحه ٤٥٤/٧ ، والحاكم في المستدرك ٢٨٩/٤ والطبراني في معجمه ١٤٧/٤).

وأخرجه أبو داود بلفظه : « أن النبي ﷺ قال : « أنها ستفتح لكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها : الحمامات فلا يدخلنها الرجال إلا بالأزر وامنعوها النساء إلا مريضة أو نفساء» . (أبو داود ـ أول كتاب الحمام ـ ٣٩/٤ ح ٤٠١١) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما « أن رسول الله ﷺ قال : إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله فاستحيوهم وأكرموهم » (ترمذي ـ أدب ـ باب الاستتار عن الجماع ١١٣/٥ح ٢٨٠٠) .

وعن عطاء عن يعلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يغتسل بالبراز بلا إزار ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال ﷺ : «إن الله عز وجل حيي ستير يحب الحياء والستر ، فإذا استتر أحدكم فليستتر» (أبو داود ـ باب النهي عن التعري ٣٩/٤ ح ٤٠١٢) .

وهـــــذا الإمـام أبـو داود رحمـه الله تعـالى ، نـاداه منـــاد :
«يا أهل السفينة ، إن أبا داود أشترى الجنة من الله بدرهم » .

حكاية أخرى عجيبة : كما أخرج ابن عبد البر بسـند جيـد عن أبي داود صاحب السـنن رحمـه الله أنـه كـان في سـفينـة ، فسـمع عاطسا علـى الشـط حمـد ، فاكـترى قاربـا بدرهـــم حتـــى جـاء إلى العاطس فشمته ، ثم رجع ، فسئل عن ذلك ، فقـــال: لعلـه يكـون مجـــاب الدعوة ، فلما رقدوا سمعوا قائلا يقول :
« **يا أهل السفينة ! إن أبا داود اشـــترى الجنـة مـن الله بدرهـم** » .

ذكره الحافظ في الفتح : ١٠/٦٢٦ .

قال أبو طلحة : علم من هاتين القصتين ـ قصة الإمام أحمـد وأبـي داود رحمـهما الله ـ : « **إن الجنـة مطويـة بالســـنة**» أي بسـنة حبيبي صلوات الله وسلامه عليه » وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فالتأسـي بـالنبي ﷺ هـو المحبـوب عنـد الله سـبحانه في كـل الشئون وإن كان الاتبـــاع في بعـض الأمـور غـير واجـب ، وذلـك لأن المحـــب لا ينظـر إلى الفـرق بـين الواجـب وغـيره ، بـل هـو يتبـع المحـــبوب لأجل حبه له ، وهذا أمر يعرفه أهل المحبة والعرفان .

وقال عمرو بن القيس الملائـي : إذا بلغـك شـيء مـن الخـــبر (أي الحديـث) فـاعمل بـه ولـو مـرة ، تكـن مـن أهلـه . وينبغـي أن يستعمل ما يسمعه من أحاديث العبـادات والآداب وفضـائل الأعمـال فذاك زكاة الحديث وسبب حفظه . اهـ

وقال وكيع رحمه الله: إذا أردت أن تحفظ الحديث فاعمل به .

وفقني الله وإياكم لذلك

من رغب عن سنتي فليس مني

وقال النبي ﷺ : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «...فمن رغب عن سنتي فليس مني» . (بخاري ـ كتاب النكاح رقم ٤٩٤٣ ـ باب الترغيب في النكاح) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من رغب عن سنتي فليس مني» صحيح ابن خزيمة رقم : ١٩٨ (باب التغليظ في ترك سنة النبي ﷺ رغبة عنها) . ثم قال : «وجائز أن يسمى تارك السنة عاصيا إذا تركها رغبة عنها ..» .

وفي رواية عن العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه : « *من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا . فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين . عضوا عليها بالنواجذ ..*»

(ابن ماجه : رقم : ٤٤ ـ باب اتباع سنة رسول الله ﷺ) .

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « *... وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ*» (رواه الترمذي برقم ٢٧٤٦ وقال : هذا حديث حسن صحيح) .

وفي تحفة الأحوذي : جزء ٧ ص ٤١٠ : قوله : «فعليه بسنتي» أي فليلزم سنتي «وسنة الخلفاء الراشدين المهديين» فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي ، فإضافة إليهم إما لعملهم بها أو لاستنباطهم واختيارهم إياها قاله القاري. اهـ .

وقال النبي ﷺ : «*من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي، فإن له من الأجر مثل أجر من عمل بها من الناس، لا ينقص من أجور الناس شيئا. ومن ابتدع بدعة لا يرضاها الله ورسوله (ﷺ)، فإن عليه مثل إثم من عمل بها من الناس ، لا ينقص من آثام الناس شيئا*».

(ابن ماجه رقم :٢١٤ ج١/٧٦) .

قال أبو هريرة رضي الله عنه لرجل : يا ابن أخي : إذا حدثتك عن رسول الله ﷺ حديثا فلا تضرب له الأمثال .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد» . (صحيح ابن حبان رقم : ٢٧) .

وقال النبي ﷺ : «من صنع أمرا على غير أمرنا فهو رد».

(أبو داود ـ كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة ٤/١٩٩ح ٤٦٠٦).

فـ﴿ *يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون*﴾ (الحشر : ١٨ — ١٩).

﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾

هــل البــاب مغلـق ؟

من المعلوم أن المحب الصادق يحب كل من كان منسوبا إلى حبيبه من الصورة والسيرة واللباس والهيئة ، وكذلك يحب حركاته وسكناته وقيامه وقعوده ، حتى يحب داره وجداره وكساءه ورداءه وإزاره .

وذكر القاضي في الشفا بعد ذكر شمائل النبي ﷺ حيث قال : «إذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ، ورأينا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف لذلك في القلوب أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال ، فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال انتهى.

أيها المحب لهذا النبي الكريم ﷺ والباحث عن خلقه العظيم فاعلم نور الله قلبي وقلبك ، وضاعف في هذا النبي الكريم ﷺ حبي وحبك : إنك إذا وقفت على شمائل هذا الحبيب ﷺ التي يعظم قدرها ويضرب بها الأمثال، وما استفدت منها بشيء، وما وفقت لها ، وما زينت قلبك ونفسك وأعضاءك بشمائله الكريمة وخلقه العظيم في جميع شئون حياتك : فاعلم أن الباب مغلق ، ويخشى أن يصدق على مثله قوله تعالى : ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ (المائدة : ٤١) نعوذ بالله من ذلك،وفي هذا المعنى قال إبراهيم فوده رحمه الله :

من يدعي حب النبي ولم يفد ... من هديه فسفاهة وهراء

الحب أول شرطه إن كان ... صدقا : طاعة ووفاء

وفقني الله وإياك لأسوة النبي ﷺ في جميع شئون الحياة آمين

الفصل الثاني

صفـــة لباس الرســـول ﷺ وصحابتـــه الكــــرام رضي الله عنهم

فصل في مــلابســه ﷺ

هكذا عنون ابن القيم رحمه الله في كتابـه : «زاد المعاد في هـدي خير العباد صلى الله عليه وآله وسلم : ١٣٥/١ » ثم قال :

كانت له عمامة تسمى : السحاب ، كساها عليـا، وكـان يلبسها ويلبـس تحتـها القلنسوة. وكـــان يلبــس القلنسـوة بغـير عمامـــة، ويلبس العمامة بغير قلنسوة. وكان إذا اعتـم ، أرخـى عمامتـه بـين كتفيه ،كما رواه مسـلم في صحيحـه عـن عمـرو بـن حريـث رضي الله عنه قـــال : رأيت رسول الله ﷺ على المنـبر وعليـه عمامـة سـوداء قـــد أرخى طرفيها بين كتفيه.

وفي مسلم أيضـا ، عـن جـابر بـن عبـد الله رضي الله عنهما أن رسـول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامـة سـوداء . ولم يذكـر في حديـث جـابر رضي الله عنه : ذؤابة ، فـدل علـى أن الذؤابـة لـــم يكـن يرخيـها دائمــــا بـين كتفيه.

وقد يقال : إنه دخل مكة وعليـه أهبـة القتـال والمغفـر على رأسه، فلبس في كل موطن ما يناسبه.

وكـان شـيخنا أبـو العبـاس ابـن تيميـــة قـــدس الله روحـــه في الجنـة، يـذكر في سبب الذؤابة شيئـا بديعـا ، وهـو أن النـبي ﷺ إنمـا

اتخذها صبيحة المنام الذي رآه في المدينة ، لما رأى رب العزة تبارك وتعالى ، فقال : «يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت : لا أدري ، فوضع يده بين كتفي فعلمت ما بين السماء والأرض...» الحديث ، وهو في الترمذي ، وسئل عنه البخاري ، فقال : صحيح .

قال : فمن تلك الحال أرخى الذؤابة بين كتفيه ، وهذا من العلم الذي تنكره ألسنة الجهال وقلوبهم ، ولم أر هذه الفائدة في إثبات الذؤابة لغيره.

ولبس (النبي ﷺ) القميص ، وكان أحب الثياب إليه ، وكان كمه إلى الرسغ . ولبس الجبة والفروج وهو شبه القباء، والفرجية، ولبس القباء أيضا ، ولبس في السفر جبة ضيقة الكمين، ولبس الإزار والرداء.

قال الواقدي : كان رداؤه وبرده طول ستة أذرع في ثلاثة وشبر، وإزاره من نسج عمان طول أربعة أذرع وشبر في عرض ذراعين وشبر.

ولبس حلة حمراء ، والحلة : إزار ورداء، ولا تكون الحلة إلا اسما للثوبين معا ، وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتا لا يخالطها غيره ، وإنما الحلة الحمراء : بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود ، كسائر البرود اليمنية ، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر، وإلا فالأحمر البحت منهي عنه أشد النهي.

ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ نهى عن المياثر الحمر ، وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما *أن النبي ﷺ رأى عليه ريطة مضرجة بالعصفر ، فقال : «ما هذه الريطة التي عليك؟» فعرفت ما كره ، فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورا لهم ، فقذفتها فيه ،*

ثم أتيته من الغد ، فقال: «ياعبد اللـــه مـا فعلـت الريطـة؟» فأخبرتـه، فقال: «هلا كسوتها بعض أهلك، فإنه لا بأس بها للنساء».

وفي صحيح مسلم عنه رضي الله عنه أيضا، قال : رأى النبي ﷺ علي ثوبين معصفرين فقال : «إن هذه من لباس الكفار فلا تلبسها» .

وفي صحيحه أيضا عن علي رضي الله عنه قال : نهى النبي عن لباس المعصفر . ومعلوم أن ذلك إنما يصبغ صبغا أحمر .

وفي بعض السـنن أنـهم كـانوا مـع النـبي ﷺ في سـفر ، فـرأى على رواحلهم أكسية فيها خطوط حمراء ، فقال : ألا أرى هـذه الحمرة قد علتـكم ، فقمنـا سراعا لقول رسول اللـه ﷺ ، حتـى نفر بعض إبلنا، فأخذنا الأكسية فنزعناها عنها» رواه أبو داود.

وفي جواز لبس الأحمر من الثياب والجوخ وغيرها نظر. وأمـا كراهته ، فشديدة جدا ، فكيف يظن بالنبي ﷺ أنـه لبـس الأحمـر القاني ، كـلا لقـد أعـاذه اللـه منـه ، وإنمـا وقعـت الشبهة مـن لفـظ الحلة الحمراء ، والله أعلم .

ولبـس (النـبي ﷺ) الخميصـة المعلمـة والسـاذجة ، ولبـس ثوبا أسود ، ولبس الفروة المكفوفة بالسندس .

وروى الإمام أحمد ، وأبو داود بإسنادهما عن أنـس بـن مـالك رضي الله عنه أن ملك الروم أهدى للنبي ﷺ مستقة من سندس ، فلبسـها ، فكأني أنظر إلى يديه تذبذبان .

قال الأصمعي : المساتق : فراء طوال الأكمـام . قـال الخطـابي : يشبـــه أن تكون هـذه المسـتقة مكففـة بالسـندس ، لأن نفــس الفروة لا تكون سندسا.

فصــل : واشترى سراويل والظاهر أنه إنما اشـتراها ليلبسـها، وقـد روي في غير حديـث أنـه لبـس السـراويل ، وكـانوا يلبسـون السراويلات بإذنـه ﷺ .

ولبس الخفين ، ولبس النعل الذي يسمى التاسومة.

ولبس الخاتم ، واختلفت الأحاديث هل كان في يمناه أو يسراه ، وكلها صحيحة السند.

ولبس البيضة التي تسمى : الخوذة ، ولبس الدرع التي تسمى: الزردية ، وظاهر يوم أحد بين الدرعين .

وفي صحيح مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : هذه جبة رسول الله ﷺ ، فأخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج . وفرجاها مكفوفان بالديباج ، فقالت : هذه كانت عند عائشة (رضي الله عنها) حتى قبضت ، فلما قبضت قبضتها ، وكان النبي ﷺ يلبسها ، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها.

وكان له ﷺ بردان أخضران ، وكساء أسود ، وكساء أحمر ملبد ، وكساء من شعر .

وكان قميصه من قطن ، وكان قصير الطول ، قصير الكمين، وأما هذه الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج ، فلم يلبسها هو ﷺ ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم البتة ، وهي مخالفة لسنته ﷺ وفي جوازها نظر ، فإنها من جنس الخيلاء .

وكان أحب الثياب إليه ﷺ القميص والحبرة ، وهي ضربت من البرود فيه حمرة .

وكان أحب الألوان إليه البياض ، وقال ﷺ: «هي من خير ثيابكم ، فالبسوها ، وكفنوا فيها موتاكم» .

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها أخرجت كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت : قبض روح رسول الله ﷺ في هذين .

ولبس خاتما من ذهب ، ثم رمى به ، ونهى عن التختم بالذهب ، ثم اتخذ خاتما من فضة ، ولم ينه عنه .

وأما حديث أبي داود أن النبي ﷺ نهى عن أشياء ، وذكر منها : ونهى عن لبوس الخاتم إلا لذي سلطان ، فلا أدري ما حال الحديث ، ولا وجهه ، والله أعلم .

وكان يجعل فص خاتمه مما يلي باطن كفه. وذكر الترمذي : أنه كان إذا دخل الخلاء نزع خاتمه ، وصححه ، وأنكره أبو داود.

وأما الطيلسان ، فلم ينقل عنه ﷺ أنه لبسه ، ولا أحد من أصحابه ﷺ ، بل قد ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه ذكر الدجال فقال : « يخرج معه سبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم الطيالسة» .

ورأى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جماعة عليهم الطيالسة ، فقال : ما أشبههم بيهود خيبر .

ومن هاهنا كره لبسها جماعة من السلف والخلف ، لما روى أبو داود ، والحاكم في المستدرك عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال : «من تشبه بقوم فهو منهم» .

وفي الترمذي عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «ليس منا من تشبه بقوم غيرنا» .
وأما ما جاء في حديث الهجرة أن النبي ﷺ جاء إلى أبي بكر متقنعا بالهاجرة ، فإنما فعله النبي ﷺ تلك الساعة ليختفي بذلك ، ففعله للحاجة ، ولم تكن عادته التقنع ، وقد ذكر أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه ﷺ أنه كان يكثر القناع ، وهذا إنما كان يفعله - والله أعلم - للحاجة من الحر ونحوه ، وأيضا ليس التقنع من التطيلس .

فصل : وكان غالب ما يلبس هو ﷺ وأصحابه ما نسج من القطن ، وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان .

وذكر الشيخ أبو إسحاق الأصبهاني بإسناد صحيح عن جابر ابن أيوب قال : دخل الصلت بن راشد على محمد بن سيرين وعليه جبة صوف ، وإزار صوف ، وعمامة صوف ، فاشمأز منه محمد،

وقال : أظن أن أقواما يلبسون الصوف ويقولـون : قـد لبسـه عيسـى ابن مـريـم ، وقد حدثني من لا أتهم أن النبي ﷺ قـد لبـس الكتـان والصوف والقطن ، وسنة نبينا أحق أن تـتـبـع .

ومقصود ابن سيرين ـ رحمـه الله ـ بـهذا : أن أقوامـا يـرون أن لبس الصوف دائما أفضل من غـيره ، فيتحرونـه ويمنعـون أنفسـهم مـن غـيره ، وكذلـك يتحـرون زيـا واحـدا مـن الملابـس ، ويتحـرون رسوما وأوضاعا وهيئات يرون الخروج عنها منكـرا ، وليـس المنكـر إلا التقيد بها ، والمحافظة عليها ، وترك الخروج عنها.

والصواب أن أفضل الطرق طريق رسـول الله ﷺ الـتي سـنها، وأمر بها ، ورغب فيها ، وداوم عليها ، وهي أن هديـه في اللبـاس : أن يلبـس مـا تيسـر مـن اللبـاس ، مـن الصـوف تـارة ، والقطـن تـارة ، والكتان تارة .

ولبس (النبي ﷺ) البرود اليمانية ، والبرد الأخضر ، ولبـس الجبة ، والقباء ، والقميص ، والسراويل ، والإزار ، والـرداء ، والخـف والنعل ، وأرخى الذؤابة من خلفه تارة ، وتركها تارة .

وكان يتلحى بالعمامة تحت الحنك.

وكان إذا استجد ثوبا ، سماه باسمه ، وقال: «اللهم أنت كسوتني هـذا القميص ـ أو الرداء أو العمامة ـ أسـألك خـيره وخـير مـا صنـع لـه ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له» .

وكـان ﷺ إذا لبـس قميصـه ، بـدأ بميامنـه. ولبـس الشـعر الأسود ، كما روى مسلم في صحيحه عن عائشـة رضي الله عنها قـالت : خـرج رسول الله وعليه مرط مرحل من شعر أسود .

وفي الصحيحين عن قتادة قلنا لأنس رضي الله عنه : أي اللبـاس كـان أحب إلى رسول الله ؟ قال: الحبرة ، والحبرة : بـرد مـن بـرود اليمـن.

فإن غالب لباسهم كان من نسج اليمن ، لأنها قريبة منهم ، وربما لبسوا ما يجلب من الشام ومصر ، كالقباطي المنسوجة من الكتان التي كانت تنسجها القبط.

وفي سنن النسائي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها جعلت للنبي ﷺ بردة من صوف ، فلبسها ، فلما عرق ، فوجد ريح الصوف ، طرحها وكان يحب الريح الطيب .

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل .

وفي سنن النسائي عن أبي رمثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : رأيت رسول الله يخطب وعليه بردان أخضران . والبرد الأخضر : هو الذي فيه خطوط خضر ، وهو كالحلة الحمراء سواء ، فمن فهم من الحلة الحمراء الأحمر البحت ، فينبغي أن يقول : إن البرد الأخضر كان أخضر بحتا ، وهذا لا يقوله أحد .

وكانت مخدته من أدم حشوها ليف ، فالذين يمتنعون عما أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح تزهدا وتعبدا ، بإزائهم طائفة قابلوهم ، فلا يلبسون إلا أشرف الثياب ، ولا يأكلون إلا ألين الطعام فلا يرون لبس الخشن ولا أكله تكبرا وتجبرا ، وكلا الطائفتين هديه مخالف لهدي النبي ﷺ .

ولهذا قال بعض السلف : كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب : العالي ، والمنخفض وفي السنن عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يرفعه إلى النبي ﷺ : « من لبس ثوب شهرة ، ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة ، ثم تلهب فيه النار» . (قلت : وهذا عام في يومنا هذا في الرجال والنساء بأنهم يلبسون الثياب لشهرة ـ إلا من رحم الله ـ) .

وهذا لأنه قصد به الاختيال والفخر ، فعاقبه الله بنقيض ذلك فأذله ، كما عاقب من أطال ثيابه خيلاء بأن خسف به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «من جر ثوبه خيلاء ، لم ينظر الله إليه يوم القيامة» .

وفي السنن عنه رضي الله عنه أيضا قال : الإسبال في الإزار ، والقميص والعمامة ، من جر شيئا منها خيلاء ، لم ينظر الله إليه يوم القيامة» .

وفي السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضا قال : ما قال رسول الله ﷺ في الإزار ، فهو في القميص .

وكذلك لبس الدنيء من الثياب يذم في موضع ، ويحمد في موضع ، فيذم إذا كان شهرة وخيلاء ، ويمدح إذا كان تواضعا واستكانة ، كما أن لبس الرفيع من الثياب يذم إذا كان تكبرا وفخرا وخيلاء، ويمدح إذا كان تجملا وإظهارا لنعمة الله.

ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان» فقال رجل : يا رسول الله إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ، ونعلي حسنة أفمن الكبر ذاك ؟ فقال : «لا، إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر : بطر الحق ، وغمط الناس» .

ومعنى «بطر الحق» : دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا . «وغمط الناس» أي احتقارهم . **انتهى ما في زاد المعاد لابن القيم رحمه الله** .

هذا موجز ما ذكره ابن القيم رحمه الله في ملبوساته ﷺ وإليك تفصيله كالآتي :

ذكر ثيابه ودثاره أو مرطه ﷺ في كتـــاب الله العظيـــم

نذكر أولا ما ذكره الله تعالى في كتابه العظيم من ثيابه ﷺ ودثاره أو مرطه ﷺ فنقول وبالله التوفيق :

خاطب المولى نبيه ﷺ وهو متلفف بثوبه : بمرطه أو قطيفته أودثاره فقال : ﴿ *يآ أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القران ترتيلا* ﴾ (المزمل : ١-٤) .
وقال رب العزة والجلال : ﴿ *يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر* ﴾ (المدثر : ١ - ٤) .

قال القرطبي في تفسيره : وفي أصل ﴿المزمل﴾ قولان : أحدهما : أنه المحتمل؛ يقال : زمل الشيء إذا حمله، ومنه الزاملة ؛ لأنها تحمل القماش . الثاني : أن المزمل هو المتلفف ؛ يقال : تزمل وتدثر بثوبه إذا تغطى...وكل شيء لفف فقد زمل ودثر؛ ..

الثانية : قوله تعالى : ﴿ *يا أيها المزمل* ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ وفيه ثلاثة أقوال :... الثالث : المزمل بثيابه ، قاله قتادة وغيره . قال النخعي : كان متزملا بقطيفة .

(وعن) عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : بمرط طوله أربعة عشر ذراعا ، نصفه علي وأنا نائمة ، ونصفه على النبي ﷺ وهو يصلي ، والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزاء ولا إبريسما ولا صوفا ، كان سداه شعرا ، ولحمته وبرا . ذكره الثعلبي .

(سبحان الله ! هذه صفة دثاره أو مرطه أو قطيفته ﷺ كان يتلفف به جسده المبارك عند الحاجة وهو سيد الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم ولا فخرا .. انتبه .

قال أبو طلحة : وحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المذكور ذكر بعضه الأصبهاني أيضا في كتابه : أخلاق النبي ﷺ برقم : ٤٨٦) .

ثم ذكر القرطبي وقال : قال ابن العربي : واختلف في تأويل ﴿يأيها المزمل﴾ فمنهم من حمله على حقيقته ، قيل له : يا من تلفف في ثيابه أو في قطيفته قم ؛ قاله إبراهيم وقتادة ...» .

وقال السهيلي : ليس المزمل باسم من أسماء النبي ﷺ ، ولم يعرف به كما ذهب إليه بعض الناس وعدوه في أسمائه عليه الصلاة والسلام ، وإنما المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب ، وكذلك المدثر .

وفي خطابه ﷺ بهذا الاسم فائدتان : إحداهما : الملاطفة ؛ فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه، باسم مشتق من حالته التي هو عليها ؛ كقول النبي ﷺ لعلي حين غاضب فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له : «قم يا أبا تراب» إشعارا له أنه غير عاتب عليه ، وملاطفة له. وكذلك قوله عليه الصلاة السلام لحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «قم يا نومان» وكان نائما ملاطفة له ، وإشعارا لترك العتب والتأنيب.

فقول الله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿ يأيها المزمل قم﴾ فيه تأنيس وملاطفة ؛ ليستشعر أنه غير عاتب عليه.

والفائدة الثانية : التنبيه لكل متزمل راقد ليله ليتنبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه ؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة . (وفقني الله وإياكم لذلك) .

ثم ذكر القرطبي قوله تعالى : ﴿وثيابك فطهر﴾ وقال : فيه ثمانية أقوال وذكرها .. ومنها : ... ومن ذهب إلى القول

الثامن قال : إن المراد بـها الثيـاب الملبوسـات، فلـهم في تأويلـه أربعـة أوجه : أحدهما : معناه وثيـابك فـأنق ؛ .. الثـاني : وثيـابك فشـمر وقصر فإن تقصير الثياب أبعد من النجـاسة ، فإذا انجـــرت علـى الأرض لم يؤمـن أن يصيبـها مـا ينجسـها ؛ قالـه الزجـاج وطـاوس . الثـالث : ﴿وثيـابك فطـهر﴾ مـن النجاسـة بالمـاء ؛ قالـه محمـد بـن سيرين وابن زيد والفقهاء. الرابـــع : لا تلبـس ثيـابك إلا مـن كسـب حلال لتكون مطهرة من الحرام .

وعـن ابـن عبـاس رضي الله عنهما : لا تكـن ثيـابك الـتي تلبـس مـن مكسب غير طاهر. .. ثم قال القرطبي : وإذا حملناهـا علـى الثيـاب المعلومة الطاهرة فهي تتناول معنيـين : أحدهمـا ـ تقصير الأذيـال؛ لأنها إذا أرسلت تدنست ، ولهذا قـال عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنه لغـلام من الأنصار وقد رأى ذيله مسترخيا : ارفع إزارك فإنـه أتقى وأنقـى وأبقى . وقد قال النبي ﷺ : «إزرة المؤمـن إلى أنصـاف ساقيـــــه، لا جناح عليه فيما بينه وبـين الكعبـين، ومـا كـان أسـفل مـن ذلـك ففي النار» .

فقد جعل النـبي ﷺ الغايـة في لبـاس الإزار الكعـب ، وتوعـد ما تحتـه بالنـار ، فما بال رجال يرسلون أذيالهم ، ويطيلون ثيابـهم، ثم يتكلفون رفعها بأيديـهم ، وهـذه حالـة الكـبر ، وفـائدة العجـب، (وأشد ما في الأمر أنهم يعصون وينجسـون ويلحقـون أنفسـهم) بمـن لم يجعل الله معـه غيره ولا ألحق بـه سواه . انتهى ماذكره القرطبي .

ذكر قميصه ﷺ وحمد ربه عند لبسه

قال شمس الحق العظيم آبادي رحمه الله في (عون المعبود ٩/٦٨) : والقميص : اسم لما يلبس من المخيط الذي له كمان وجيب .

ومن أهم أحكامه وآدابه :

(١) أن يكون كمه إلى الرسغ (٢) أن يكون طوله إلى نصف الساق (٣) أن يكون أبيض (٤) يحرم أن يطوي عن الكعبين ويجر في الأرض عجبا واختيالا هذا بالنسبة للرجل . انتهى .

عن عبد الله بن بريدة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص . (أبو داود ـ لباس ـ باب ما جاء في القميص ٤/٤٣ ح ٤٠٥٢) .

وقال عمرو سمعت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : أتى رسول الله ﷺ عبدالله بن أبي بعد ما أدخل حفرته ، فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه، ـ فالله أعلم ـ وكان كسا عباسا قميصا ، قال سفيان : وقال أبو هارون يحيى : وكان على رسول الله ﷺ قميصان فقال له ابن عبدالله (ابن أبي) : يا رسول الله ! ألبس أبي قميصك الذي يلي جلدك ، قال سفيان : فيرون أن النبي ﷺ ألبس عبدالله قميصه، مكافأة لما صنع» (بخاري ـ الجنائز ـ رقم : ١٢٦٣) .

وعن أم سلمة رضي الله عنه قالت : «لم يكن ثوب أحب إلى رسول الله ﷺ من قميص» . (أبي داود ـ لباس ـ باب ما جاء في القميص ٤/٤٣ ح ٤٠٢٦).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان لرسول الله ﷺ قميص قطني ، قصير الطول ، قصير الكمين . (ذكره الأصبهاني في أخلاق النبي ﷺ وآدابه ، برقم ٢٤٥ ص ١٠٥) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يلبس قميصا فوق الكعبين مستوى الكعبين بأطراف أصابعه .(ابن ماجة ـ لباس رقم : ٣٥٧٧.

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلة عن أسيد بن حضير رضي الله عنه رجل من الأنصار قال : بينما هو يحدث القوم ، وكان فيه مزاح ، بينا يضحكهم فطعنه النبي ﷺ في خاصرته بعود فقال : أصبرني فقال : اصطبر ، قال : إن عليك قميصا ، وليس علي قميص فرفع النبي ﷺ عن قميصه ، فاحتضنه وجعل يقبل كشحه ، قال : إنما أردت هذا يا رسول الله» . (ذكره أبو داؤد في كتاب الأدب رقم الحديث : ٤٥٤٧) .

وعن معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ في رهط من مزينة ، فبايعناه ، وإنه لمطلق الأزرار ، فأدخلت يدي في جيبه فمسست الخاتم ، فما رأيت معاوية ولا إبنه في شتاء ولا حر ، إلا مطلقي أزرارهما لا يزران أبدا . (أخرجه أحمد : ٣٥/٥ أبو داود : ٤٠٨٢ ، ابن ماجة : ٣٥٧٨) .

وعنه رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ في رهط من مزينة وإن قميصه لمطلق ، فأدخلت يدي من جيب قميصه فمسست الخاتم .
(ذكره الأصبهاني في أخلاق النبي ﷺ وآدابه) رقم الحديث : ٢٥٥ . وفي هامشه : قال الألباني في مختصر الشمائل (٤٨) صحيح) .

وعن دلهم بن صالح قال سمعت عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : إن النجاشي كتب إلى النبي ﷺ : إني قد زوجتك امرأة من قومك ، وهي على دينك ، أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وأهديت لك هدية جامعة : قميصا وسراويل ، وعطافا ، وخفين ساذجين ، فتوضأ النبي ﷺ ، ومسح عليهما . . .» (رواه الترمذي رقم الحديث : ٢٨٢٠ وقال : هذا حديث حسن ، وابن ماجة رقم : ٥٤٩ وأبو داود رقم : ١٥٥ .

قوله «خفين ساذجين : أي غير منقوشين ولا شعر عليهما أو على لون واحد» قاله العلماء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب نجرانية الحلة : ثوبان ، وقميصه الذي مات فيه» قال : أبو داود : قال عثمان : في ثلاثة أثواب : حلة حمراء وقميصه الذي مات فيه (أبو داود – الجنائز ـ رقم : ٢٧٤١) .

القميص ! وما القميص ؟
وما أدراك ما القميص ؟!

قال رب العزة والجلال حكاية عن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ★ ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ★ قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم★ فلمآ أن جآء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ★ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنآ إنا كنا خاطئين ★ قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾ (يوسف : ٩٣ـ ٩٨) .

وبوب البخاري في صحيحه «باب لبس القميص» وقول الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا﴾ا اهـ ..

قال الحافظ في الفتح : «كأنه يشير (أي البخاري رحمه الله) إلى أن لبس القميص ليس حادثا وإن كان الشائع في العرب لبس الإزار والرداء ... الخ اهـ.

قلت : نعم ، أن لبس القميص ليس بجديد بل لبسه أبونا إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وسيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، بل لو يقال : إنه من لباس الجنة فلا بأس وهذا كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

قال القرطبي في تفسيره : قال ابن السدي عن أبيه عن مجاهد : قال لهم يوسف ﷺ : ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا﴾ قال : كان يوسف أعلم بالله من أن يعلم أن قميصه يرد على يعقوب بصره ، ولكن ذلك قميص إبراهيم الذي ألبسه الله في النار من حرير الجنة ، وكان كساه إسحق، وكان إسحق

كساه يعقوب ، وكان يعقوب أدرج ذلك القميص في قصبة من فضة وعلقه في عنق يوسف ، لما كان يخاف عليه من العين ، وأخبره جبريل بأن أرسل قميصك فإن فيه ريح الجنة ، و(إن) ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى إلا عوفي . (الله أكبر) .

وقال الحسن : لولا أن الله تعالى أعلم يوسف بذلك لم يعلم أنه يرجع إليه بصره ، وكان الذي حمل قميصه يهوذا ، قال ليوسف ﷺ : أنا الذي حملت إليه قميصك بدم كذب فأحزنته ، وأنا الذي أحمله الآن لأسره ، وليعود إليه بصره ، فحمله ؛ حكاه السدي... وقد قيل : إن القميص الذي بعثه هو القميص الذي قد من دبره ، ليعلم يعقوب أنه عصم من الزنى ؛ والقول الأول أصح ، وقد روي مرفوعا من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ ؛ ذكره القشيري والله أعلم . انتهى قول القرطبي رحمه الله .

وفي تفسير الجلالين قوله : ﴿اذهبوا بقميصي هذا﴾ : «وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقي في النار كان في عنقه في الجب وهو (القميص) من الجنة ، أمره جبريل بإرساله وقال : إن فيه ريحها ولا يلقى على مبتلى إلا عوفي» اهـ.

وذكر ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول : ... لما خرجت العير هاجت ريح ، فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف ، فقال : ﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾ (أي تسفهون أو تهرمون) قال : فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام ، وكذا رواه سفيان الثوري .. وقال الحسن وابن جريج : كان بينهما ثمانون فرسخا ، وكان بينه وبينه منذ افترقا ثمانون سنة .

وقولهم ﴿إنك لفي ضلالك القديم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : لفي خطئك القديم . وقال قتادة : أي من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه ، قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبي الله ﷺ ، انتهى .

وقال السعدي رحمه الله في تفسره : أي : قال يوسف عليه السلام لإخوته : ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا﴾ لأن كل داء يداوى بضده ، فهذا القميص - لما كان فيه أثر ريح يوسف ، الذي أودع قلب أبيه من الحزن ، والشوق ، ما الله به عليم - أراد أن يشمه ، فترجع إليه روحه ، وتتراجع إليه نفسه ، ويرجع إليه بصره ، ولله في ذلك حكم وأسرار ، لا يطلع عليها العباد ، وقد اطلع يوسف - ﷺ - من ذلك على هذا الأمر ﴿وائتوني بأهلكم أجمعين﴾ أي : أولادكم وعشيرتكم ، وتوابعكم كلهم ، ليحصل تمام اللقاء ، ويزول عنكم نكد المعيشة ، وضنك الرزق . ﴿ولما فصلت العير﴾ عن أرض مصر، مقبلة إلى أرض فلسطين ، شم يعقوب ريح القميص فقال: ﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾ أي : تسخرون مني ، وتزعمون أن هذا الكلام صدر مني ، من غير شعور ، لأنه رأى منهم من التعجب من حاله ، ما أوجب له هذا القول ، فوقع ما ظنه بهم فقالوا :﴿تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ أي : لا تزال تائها في بحر لجي لا تدري ما تقول.

﴿فلما أن جاء البشير﴾ بقرب الاجتماع بيوسف وإخوته وأبيهم ، ﴿ألقاه﴾ أي : القميص ﴿على وجهه ، فارتد بصيرا﴾ أي : رجع إلى حاله الأولى بصيرا ، بعد أن ابيضت عيناه من الحزن . فقال لمن حضره من أولاده وأهله ، الذين كانوا يفندون رأيه ، ويتعجبون منه منتصرا عليهم ، مغتبطا بنعمة الله عليه : ﴿ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ حيث كنت مترجيا للقاء يوسف، مترقبا لزوال الهم والغم والحزن. فأقروا بذنبهم و﴿قالوا : يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾ حيث فعلنا معك ما فعلنا .

﴿قال﴾ مجيبا لطلبتهم ، ومسرعا لإجابتهم : ﴿سوف أستغفر لكم ربي ، إنه هو الغفور الرحيم﴾ ورجائي به ، أن يغفر لكم، ويرحمكم ، ويتغمدكم برحمته

انتهى ما ذكره السعدي رحمه الله في تفسيره .

ذكر عمامته ﷺ وأنواعه وكيفية لبسه

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ دخل مكة (وقال قتيبة : دخل يوم فتح مكة) وعليه عمامة سوداء بغير إحرام» (مسلم ـ لباس ـ ما يباح للمحرم بحج أو عمره ... رقم : ٣٢٦٣) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء» (ابن ماجه ـ لباس ـ باب العمامة السوداء/١١٦٨/٢ ح٣٥٨٦) .

عن جابر رضي الله عنه قال :«أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح مكة وعليه عمامة سوداء» . (أبو داود ـ لباس ـ ٥٤/٤ح ٤٠٧٦) .

وعن (جعفر بن عمرو بن حريث) عن أبيه ، قال : كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ ، على المنبر . وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه . (مسلم ـ لباس ـ رقم ٣٢٦٦).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «رأيت جبريل عليه السلام عليه عمامة حمراء مرخيها بين كتفيه». رواه الطبراني في الأوسط وفيه شهر بن حوشب وحديثه حسن وقد ضعف ، وبقية رجاله ثقات (مجمع الزوائد ـ لباس ـ باب ما جاء في الصباغ ١٣٠/٥)

وعن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه رضي الله عنه قال : «كأني أنظر الساعة إلى رسول الله ﷺ على المنبر عليه عمامة سوداء ، قد أرخى طرفها بين كتفيه» (نسائي ـ لباس ـ ١١٨٦/٢ح ٣٥٨٧)

وعن أبي عبد السلام قال : «قلت لابن عمر رضي الله عنهما : كيف كان النبي ﷺ يعتم ؟ قال : كان يدور كور عمامته على رأسه ويغرزها من ورائه ويرسلها بين كتفيه» . (مجمع الزوائد ـ لباس ـ باب العمائم ١٢٠/٥) .

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : «كنت عاشر عشرة في مسجد رسول الله ﷺ : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن جبل وحذيفة وابن عوف وأنا وأبو سعيد . فجاء فتى من

الأنصار فسلم ثم جلس . فذكر الحديث إلى أن قال : ثم أمر ابن عوف فتجهز لسرية بعثه عليها فأصبح وقد اعتم بعمامة كرابيس سوداء فأتاه النبي ﷺ ثم نقضها فعممه فأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوها ثم قال : «هكذا يا ابن عوف اعتم فإنه أعرب وأحسن» ثم أمر بلالا فدفع إليه اللواء فحمد الله وصلى على النبي ﷺ ثم قال : «خذ يا ابن عوف فاغزوا جميعا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تغدروا . ولا تمثلوا فهذا عهد الله وسنة نبيه فيكم» . (رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن (مجمع الزوائد - لباس - باب العمائم ١٢٠/٥) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «عمم رسول الله ﷺ عبدالرحمن بن عوف وأرخى له أربع أصابع وقال : «إني لما صعدت إلى السماء رأيت أكثر الملائكة معتمين» رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه مقدام بن داود وهو ضعيف ، (مجمع الزوائد - لباس - باب العمائم ١٢٠/٥) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه « إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة» .(مجمع الزوائد - اللباس - باب العمائم ١٢٠/٥-١٢١) . حديث ضعيف).

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : عممني رسول الله ﷺ فسدلها بين يدي ومن خلفي» (رواه أبو داود كما في المشكاة كتاب اللباس) .

وذكر القارئ في المرقاة شرح المشكاة ٢٤٩/٨ شارحا للحديث المذكور وقال : وروى ابن أبي شيبة عن علي كرم الله وجهه أنه ﷺ عممه بعمامة وأسدل طرفيها على منكبيه .

وفي شرح السنة قال محمد بن قيس : رأيت ابن عمر رضي الله عنهما معتما قد أرسلها بين يديه ومن خلفه .

وقد ثبت في السير بروايات صحيحه أن النبي ﷺ كان يرخي علامته أحيانا بين كتفيه وأحيانا يلبس العمامة من غير علامة فعلم أن الإتيان بكل واحد من تلك الأمور سنة . انتهى .

قصة غريبة : قال أبو طلحة : رآني عالم من علماء المدينة بجانبه في إحدى المساجد بالمدينة النبوية - على صاحبها الصلاة والتحية - وعلى رأسي غترة بهيئة العمامة ، فخاطبني بحكمة بالغة كأنه ينصحني من غسانة قلبه ويريد أن أتمسك بما أنا فيه وأعض عليه بالنواجذ فقال : «زادك الله حرصا في طواعية الله وطواعية الرسول ﷺ ، وقد وفقك الله باستعمال السنة (أي سنة العمامة) في حين أننا نحن العرب محرومون من ذلك - إلا من رحم الله - ونستعمل غترة بالهيئة التي تراها فينا - وكانت على رأسه غترة كعادة العرب عامة - ففرحت بقوله هذا : بأنه يصدق عملي ويكذب عمله ، وليس هذا إلا من شأن العلماء المخلصين البارين الناصحين لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين . اللهم وفقنا لما تحبه وترضى اهـ .

وذكر القارئ في المرقاة شرح المشكاة ٨/ ٢٥٠ : روى القضاعي والديلمي في مسند الفردوس عن علي كرم الله وجهه مرفوعا : «العمائم تيجان العرب ، والاحتباء حيطانها ، وجلوس المؤمن في المسجد رباط» .

وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ : «العمائم تيجان العرب ، فإذا وضعوا العمائم وضعوا عزهم» .

وروى الباوردي عن ركانة رضي الله عنه بلفظ : «العمامة على القلنسوة فصل ما بيننا وبين المشركين ، يعطى يوم القيامة لكل كورة يدورها على رأسه نورا .

وروى ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا : «صلاة تطوع أو فريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلاة بلا عمامة ، وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بلا عمامة .

ثم قال القارئ رحمه الله : فهذا كله يدل على فضيلة العمامة مطلقا ، نعم الجمع بين الأحاديث أنها مع القلنسوة أفضل إما ليحصل لها بهاء البهاء الزائد أو لأن القلنسوة تقيها من العرق ، ولهذا تسمى عرقية ، فلبسها وحدها مخالف للسنة ، كيف وهي زي الكفرة وكذا المبتدعة في بعض البلدان ، لكن صار شعارا لبعض مشايخ اليمن والله أعلم بمقاصدهم ونياتهم .

هذا ، وقد قال الجزري في تصحيح المصابيح : قد تتبعت الكتب وتطلبت من السير والتواريخ لأقف على قدر عمامة النبي ﷺ فلم أقف على شيء حتى أخبرني من أثق به أنه وقف على شيء من كلام النووي ذكر فيه أنه كان له ﷺ عمامة قصيرة وعمامة طويلة ، وأن القصيرة كانت سبعة أذرع ، والطويلة اثنى عشر ذراعا اهـ .

وظاهر كلام المدخل أن عمامته ﷺ كانت سبعة أذرع مطلقا من غير تقييد بالقصير والطويل ، وقد كانت سيرته في ملبسه كسائر سيره على وجه أتم ونفعه للناس أعم إذ كبر العمامة يعرض الرأس للآفات الحسية والمعنوية كما هو مشاهد في الفقهاء المكية والقضاء الرومية ، وصغرها لا يقي من الحر والبرد فكان يجعلها وسطا بين ذلك تنبيها على أن تعتدل في جميع أفعالك ، قال صاحب المدخل : وعليك أن تتسرول قاعدا وتتعمم قائما ... انتهى ما في المرقاة .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : «عليكم بالعمائم فإنها سيما الملائكة وأرخوها خلف ظهوركم» .

(رواه الدار قطني فيه عيسى بن يونس . قال الدار قطني : مجهول وذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمة يحيى بن عثمان بن صالح المصري شيخ الطبراني ومع ذلك فقد وثقه (مجمع الزوائد ـ لباس ـ باب العمائم ٥/١٢٠) .

ذكر إزاره ﷺ وردائه وكسائه ﷺ وآداب لبسه

الإزار : ثوب يشد على إزر الإنسان وهو وسطه وكشحه والكشح موضع الإزار . وقال تعالى : ﴿لباسا يوارى سوءاتكم﴾ .

وفي المصباح ٨/١ : الإزار معروف ، ويذكر ويؤنث ، والإزارة مثله ، واتزرت المرأة : لبست الإزار اهـ .

(والإزار المهدب الذي له أهداب ، وهي أطراف مفتولة ربما قصد بها التجمل ، وغالبا ما تكون خيوطا مفتولة . اهـ .

وفي المسند وقال ﷺ «ائتزروا» وقال : «اتزروا ، وارتدوا ، وانتعلوا» . وقال إبراهيم النخعي في البخاري : «إن كان عليهم إزار فسلم وإلا فلا تسلم».

عن أبي بردة رضي الله عنه قال : « أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء وإزارا غليظا فقالت : قبض روح النبي ﷺ في هذين » .

(بخاري ـ لباس ـ باب الأكسية والخمائص ٢٩/٤) .

وعن أبي بردة رضي الله عنه أيضا قال : دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخرجت علينا إزارا غليظا مما يصنع باليمن وكساء من التي يسمونها ملبدة ، فأقسمت بالله أن رسول الله ﷺ قبض في هذين الثوبين» (أبو داود ـ لباس ـ باب لباس الغليظ ٤٥/٤ ح ٤٠٣٦).

وعن أبي بردة رضي الله عنه قال : أخرجت إلينا عائشة إزارا وكساء ملبدا فقالت: في هذا قبض رسول الله ﷺ».

وفي رواية : «... إزارا غليظا» . (مسلم ـ لباس ـ رقم : ٣٨٨٠) .

وعن أبي بردة قال : دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخرجت لي إزارا غليظا من التي تصنع باليمن ، وكساء من هذه الأكسية التي تدعى الملبدة . وأقسمت لي : لقبض رسول الله ﷺ فيهما .

(ابن ماجة ـ لباس ـ باب لباس النبي ﷺ ـ ١١٧٧/٢ ح ٣٥٥٣) .

وعن يزيد بن أبي سمية قال : «سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول : ما قال رسول الله ﷺ في الإزار وهو في القميص» (أبو داود ـ لباس ـ ٤/٦٠ح ٤٠٩٥) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال : مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعطاء» (بخاري – كتاب فرض الخمس رقم : ٢٩١٦) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يجلس معنا في المجلس يحدثنا ، فإذا قام قمنا قياما ، حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه ، فحدثنا يوما فقمنا حين قام فنظرنا إلى أعرابي قد أدركه فجبذه بردائه فحمر رقبته ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : وكان رداء خشنا ، فالتفت فقال له الأعرابي : احمل لي على بعيري هذين ، فإنك لا تحمل لي من مالك ، ولا من مال أبيك ، فقال النبي ﷺ : «لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله ، لا وأستغفر الله ، لا أحمل لك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني فكل ذلك يقول له الأعرابي : والله لا أقيدكها فذكر الحديث ، قال : ثم دعا رجلا فقال له : «احمل له على بعيريه هذين : على بعير شعيرا، وعلى الآخر تمرا، ثم التفت إلينا فقال : «انصرفوا على بركة الله تعالى» .

(أبو داود ـ الأدب ـ رقم : ٤١٤٥).

وأن عليا رضي الله عنه قال : «... فدعا رسول الله ﷺ بردائه فارتدى به ثم انطلق يمشي ، واتبعته أنا وزيد بن حارثة ، حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذنوا فأذنوا لهم » .

(بخاري ـ لباس ـ باب الأردية ٤/٢٥) .

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنت مع النبي ﷺ ، وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية . (ابن ماجة ـ كتاب اللباس ٢/١١٧٧ح٣٥٥٣) .
وكان رداء النبي ﷺ غليظ الحاشية .

قال العلماء : وفي الحديث : مشروعية الرداء ، واستحباب التزهد والتخفيف من متاع الدنيا .

وعن مبارك بن فضالة وعن الحسن : أن شيخا من بني سليط أخبره قال : أتيت رسول الله ﷺ أكلمه في شيء أصيب لنا في الجاهلية ، فإذا هو قاعد وعليه حلقة قد أطافت به وهو يحدث القوم وعليه إزار قطن له غليظ . (أخرجه أحمد ٧١/٥) .

وعن عروة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه إلى الوفد ، رداء وثوب أخضر طوله أربعة أذرع ، وعرضه ذراعان وشبر ، وهو عند الخلفاء اليوم قد كان خلق فطووه بثوب يلبسونه يوم الفطر والأضحى» . ذكره الأصبهاني في « أخلاق النبي ﷺ وآدابه» برقم : ٢٨٢ وفي هامشه : هذا حديث مرسل وهو مكرر ما قبله إلا أنه خلا من العلتين المذكورتين في الذي قبله فهو من رواية ابن المبارك عن ابن لهيعة وروايته عنه مقبولة . انتهى.

وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : أخذ رسول الله ﷺ كساء له فدكيا ، فأداره عليهم ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي وحامتي .
(رواه أحمد ٣٠٤/٦ ، والترمذي : ٣٢٠٥ وقال الترمذي : هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روي في هذا الباب . انتهى .

وعن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال : بعث النبي ﷺ عثمان بن عفان إلى مكة ، فأجاره أبان بن سعيد ، فقال : يا ابن عم ، ألا أراك متخشعا ، أسبل كما يسبل قومك ، قال : هكذا يأتزر صاحبنا (ﷺ) إلى نصف ساقيه .
(ذكره الأصبهاني (أبو الشيخ) في (أخلاق النبي ﷺ وآدابه) الحديث : ٢٧٠ .
وفي هامشه : صححه الألباني في مختصر شمائل الترمذي : ٩٨) .

وعن الأشعث بن سليم قال : سمعت عمتي تحدث عن عمها رضي الله عنه : أنه رأى إزار رسول الله ﷺ أسفل إلى نصف الساق)
ذكره الأصبهاني (أبو الشيخ) في (أخلاق النبي ﷺ وآدابه) الحديث : ٢٧١).

وذكر في هامشه : .(أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية عن الأشعث بن سليم قال : سمعت عمتي تحدث عن عمها قال : «بينما أنا أمشي بالمدينة إذا إنسان خلفي يقول : إرفع إزارك فإنه أتقى ، فإذا هو رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ! إنما هي بردة ملحاء قال : أما لك في أسوة ؟ فنظرت فإذا إزاره إلى نصف ساقيه»
(وصححه الألباني بشاهد له أنظر الصحيحة ١٤٤١ (٩٧) .

قوله : «بردة ملحاء» تأنيث أملح أي فيها بياض يخالطه سواد فالملحاء التي فيها خطوط من سواد وبياض . اهـ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : « بينما رجل يصلي مسبلا إزاره إذ قال له رسول الله ﷺ : اذهب فتوضأ ، فذهب فتوضأ ثم جاء ، ثم قال : اذهب فتوضأ ، فذهب فتوضأ ثم جاء ، فقال له رجل : يا رسول الله ما لك أمرته أن يتوضأ ، ثم سكت عنه ؟ فقال : إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره ، وإن الله جل ذكره لا يقبل صلاة رجل مسبل إزاره» (رواه أبو داود في الصلاة ـ باب فرض الصلاة رقم ٦٣٨ ، وفي اللباس باب مسبل الإزار رقم ٤: ٥٧/٤ ح ٤٠٨٦).

وعن عكرمة قال : رأيت ابن عباس رضي الله عنهما يأتزر فيضع حاشية إزاره من مقدمه على ظهر قدمه ، ويرفع مؤخره ، فقلت : ما هذه الإزرة ؟ فقال : رأيت رسول الله ﷺ يأتزرها .
(حديث حسن أخرجه أبو داود ٤/٤٠٩٦) .

ذكر جبته صلى الله عليه وسلم

الجبة : رداء مفتوح الصدر إلى الذيل ، ولعله سمي جبه لأنه يجب من أمام ـ يعني : يشق . والشامية نسبة إلى الشام ـ وفي رواية : رومية . وكان الروم يومئذ بالشام .

عن عروة بن المغيرة عن أبيه رضي الله عنه قال كنت مع النبي ﷺ ذات ليلة في سفر فقال : أمعك ماء ؟ قلت : نعم ، فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل ، ثم جاء فأفرغت عليه الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ، ثم مسح برأسه ثم أهويت لأنزع خفيه فقال : دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما» .

(بخاري ـ لباس ـ باب جبة الصوف في الغزو ٢٦/٤) .

وعن جابر رضي الله عنه أن راهبا أهدى لرسول الله ﷺ جبة سندس فلبسها رسول الله ﷺ ثم أتى البيت ، فوضعها وأحس بوفد أتوه فأمره عمر : أن يلبس الجبة لقدوم الوفد ، فقال رسول الله ﷺ : «لا يصلح لباسها لنا في الدنيا ويصلح لنا في الآخرة ولكن خذها يا عمر» ، فقال : تكرهها وآخذها فقال : «إني لا آمرك أن تلبسها ، ولكن أرسل بها إلى أرض فارس فتصيب بها مالا» فأرسل بها رسول الله ﷺ إلى النجاشي وكان قد أحسن إلى من فر إليه من أصحاب رسول الله ﷺ . (مجمع الزوائد ١٤١/٥ ورواه أحمد ٣٣٧/٣) .

قوله : «جبة سندس» هي الحرير الفارسي الرقيق وهو فارسي معرب .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : بعث رسول الله ﷺ إلى عمر بجبة سندس . فقال عمر : بعثت بها إلي وقد قلت فيها ما قلت ؟ قال : إ« ني لم أبعث بها إليك لتلبسها. وإنما بعثت بها إليك لتنتفع بثمنها» . (مسلم ـ لباس ـ رقم : ١٦٤٥)

عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبية «أن النبي ﷺ لبس جبة رومية ضيقة الكمين» . (قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .
(الترمذي - لباس - ٤/٢٣٩، ٢٤٠ ح ١٧٦٨).

قوله : «الجبة الرومية» : المصنوعة في بلاد الروم ، وسبق أنها شامية وقد كان الروم بالشام .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة ، فمررنا بواد فقال : أي واد هذا ؟ فقالوا : وادي الأزرق ، فقال : «كأني أنظر إلى موسى ﷺ فذكر من لونه وشعره شيئا - لم يحفظه داود - واضعا إصبعيه في أذنيه ، له جؤار إلى الله بالتلبية ، مارا بهذا الواد» قال : ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال : أي ثنية هذه ؟ قالوا : هرشى أو لفت ، فقال : كأني أنظر إلى يونس (بن متى ﷺ) على ناقة حمراء عليه جبة صوف خطام ناقته ليف خلبة مارا بهذا الوادي ملبيا» . (رواه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان . رقم : ٢٤٢) .

وعن عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وكان خال ولد عطاء قال : أرسلتني أسماء إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقالت: بلغني أنك تحرم أشياء ثلاثة : العلم في الثوب ، وميثرة الأرجوان وصوم رجب كله ؟ فقال لي عبد الله : أما ما ذكرت من رجب : فكيف بمن يصوم الأبد . وأما ما ذكرت من العلم في الثوب : فإني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنما يلبس الحرير من لا خلاق له ، فخفت أن يكون العلم منه . وأما ميثرة الأرجوان : فهذه ميثرة عبد الله (رضي الله عنه) ، فإذا هي أرجوان .

فرجعت إلى أسماء رضي الله عنها فخبرتها ، فقالت : هذه جبة رسول الله ﷺ فأخرجت إلي جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجيها مكفوفين بالديباج ، فقالت : هذه كانت عند عائشة رضي الله عنها حتى قبضت ، فلما قبضت قبضتها ، وكان النبي ﷺ يلبسها ، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها»
(رواه مسلم في صحيحه - اللباس والزينة - رقم : ٣٨٥٥) .

قوله : «الأرجوان» قال النووي رحمه الله : قال أهل اللغة وغيرهم : هو صبغ أحمر شديد الحمرة .. وقال الفراء : هو الحمرة، وقال ابن فارس : هو كل لون أحمر ، وقيل : هو الصوف الأحمر. وقال الجوهري : هو شجر له نور أحمر أحسن ما يكون اهـ

وقال النووي : وأما ما ذكرت (أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) عنه (أي عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) من كراهة العلم (في الثوب) فلم يعترف (ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) بأنه كان يحرمه بل أخبر أنه تورع عنه خوفا من دخوله في عموم النهي عن الحرير . وأما المئثرة فأنكر ما بلغها عنه فيها وقال : هذه مئثرتي وهي أرجوان والمراد : أنها حمراء وليست من حرير بل من صوف أو غيره، وقد سبق أنها قد تكون من حرير وقد تكون من صوف، وأن الأحاديث الواردة في النهي عنها مخصوصة بالتي هي من الحرير ، وأما إخراج أسماء جبة النبي صلى الله عليه وسلم المكفوفة بالحرير فقصدت بها بيان أن هذا ليس محرما، وهكذا الحكم عند الشافعي وغيره أن الثوب والجبة والعمامة ونحوها إذا كان مكفوف الطرف بالحرير جاز ما لم يزد على أربع أصابع ، فإن زاد فهو حرام لحديث عمر رضي الله تعالى عنه .. الخ ما ذكره النووي في شرح مسلم .

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أهدي لرسول الله ﷺ جبة من سندس وكان ينهى عن الحرير فعجب الناس منها فقال : والذي نفس محمد بيده إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا . حدثناه محمد بن بشار حدثنا سالم بن نوح حدثنا عمر بن عامر عن قتادة عن أنس : أن أكيدر دومة الجندل أهدى لرسول الله ﷺ حلة فذكر نحوه ولم يذكر فيه : «وكان ينهى عن الحرير» . (مسلم ـ اللباس والزينة ـ رقم : ٤٥١٥) .

وعن أبي عمر مولى أسماء عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أن النبي ﷺ كانت له جبة من طيالسة مكفوفة بالديباج يلقى فيها العدو» (مسند أحمد ـ باقي مسند الأنصار ـ رقم : ٢٥٧٤٧) .

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «خيطت لرسول الله ﷺ جبة من صوف أنمار فلبسها فما أعجب بثوبين ما أعجب به !! فجعل يمسه بيده هكذا ويقول : انظروا ما أحسنها وفي القوم أعرابي فقال : يا رسول الله هبها لي ، فخلعها فدفعها في يده ، قال : ثم أمر بمثله أن يحاك ، وتوفي رسول الله ﷺ وهو في الحاكة».
(ذكره الأصبهاني في(أخلاق النبي ﷺ وآدابه) رقم الحديث :٣٢٠) .

ذكر حلته صلى الله عليه وسلم

قوله : «الحلة» قال أبو عبيد : الحلل : برود اليمن ، والحلة : إزار ورداء ، ونقله ابن الأثير وزاد : إذا كان من جنس واحد . وقال ابن سيده في المحكم : الحلة : برد أو غيره .

وحكى عياض : أن أصل تسمية الثوبين حلة أنهما يكونان جديدين كما حل طيهما، وقيل : لا يكون الثوبان حلة حتى يلبس أحدهما فوق الآخر ، فإذا كان فوقه فقد حل عليه والأول أشهر ... ذكره الحافظ في الفتح ٣٠٩/١٠) .

عن أبي إسحاق سمع البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول : كان النبي ﷺ مربوعا - أي بين الطويل والقصير - وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئا أحسن منه» . (بخاري - لباس - باب الثوب الأحمر ٣٣/٤ ورقم ٥٧١٤) .

ذكر الحافظ في الفتح شارحا لهذا الحديث وقال : «... وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : «مر على النبي ﷺ رجل وعليه ثوبان أحمران ، فسلم عليه ، فلم يرد عليه النبي ﷺ (أي السلام)
(أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه والبزار ...) .

وعن رافع بن خديج رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فرأى على رواحلنا أكسية فيها خطوط عهن حمر فقال : ألا أرى هذه الحمرة قد غلبتكم ، قال فقمنا سراعا فنزعناها حتى نفر بعض إبلنا» (أخرجه أبو داود).

وعن امرأة من بني أسد رضي الله عنها قالت: «كنت عند زينب أم المؤمنين ونحن نصبغ ثيابا لها بمغرة، إذ طلع النبي ﷺ، فلما رأى المغرة رجع، فلما رأت ذلك زينب غسلت ثيابها ووارت كل حمرة، فجاء فدخل» (أخرجه أبو داود وفي سنده ضعف).

ثم ذكر الحافظ بعده وقال: «... والتحقيق في هذا المقام أن النهي عن لبس الأحمر إن كان من أجل أنه لبس الكفار فالقول فيه كالقول في الميثرة الحمراء كما سيأتي، وإن كان من أجل أنه زي النساء فهو راجع إلى الزجر عن التشبه بالنساء، فيكون النهي عنه لا لذاته، وإن كان من أجل الشهرة أو خرم المروءة فيمنع حيث يقع ذلك، وإلا فيقوى ما ذهب إليه مالك من التفرقة بين المحافل والبيوت. (انتهى ما في الفتح بحذف واختصار).

وعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ بمكة وهو بالأبطح في قبة له حمراء من أدم، قال: فخرج بلال بوضوئه، فمن نائل وناضح، قال: فخرج النبي ﷺ عليه حلة حمراء كأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال: فتوضأ وأذن بلال، قال: فجعلت أتتبع فاه هاهنا وهاهنا - يقول يمينا وشمالا - يقول: «حي على الصلاة» «حي على الفلاح» قال: ثم ركزت له عنزة فتقدم فصلى الظهر ركعتين، يمر بين يديه الحمار والكلب لا يمنع، ثم صلى العصر ركعتين، ثم لم يزل يصلي ركعتين حتى رجع إلى المدينة. (مسلم – كتاب الصلاة - رقم: ٧٧٧).

وعنه رضي الله عنه أنه رأى رسول الله ﷺ في قبة حمراء من أدم ورأيت بلالا أخرج وضوءا فرأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء فمن أصاب منه شيئا تمسح به، ومن لم يصب منه أخذ من بلل يد صاحبه، ثم رأيت بلالا أخرج عنزة فركزها وخرج رسول الله ﷺ في حلة حمراء مشمرا فصلى إلى العنزة بالناس ركعتين ورأيت الناس والدواب يمرون بين يدي العنزة ...» (مسلم - الصلاة - رقم: ٧٧٨).

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : رأيت رسول الله ﷺ في ليلة اضحيان ، فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر وعليه حلة حمراء ، فإذا هو عندي أحسن من القمر» . (اخرجه الترمذي في كتاب الأدب برقم ٢٧٣٥) وقال : هذا حديث حسن غريب).

وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : رأيت النبي ﷺ وعليه حلة حمراء مترجلا لم أر قبله ولا بعده أحدا هو أجمل منه» .
(رواه النسائي في كتاب الزينة ـ رقم : ٥٢١٩) .

صفة بردته وحبرته وشملته ﷺ

البرود : جمع برد أو بردة : وهي الشملة المنسوج في حاشيتها المسجفة ، الحبرة : البردة الموشاة المنقوشة . والجمع : حبر . والشملة هي ما يشتمل به ويلتحف من الأكسية .

وقال بعضهم : الشملة : ما يشتمل به الإنسان ، وربما زينت ، وهي مثل ما يسمى عندنا العباءة ـ أو الشملة أيضا .

وذكر الحافظ في الفتح ٢٨٨/١٠ وقال : قال الجوهري : الحبرة : برد يمان . وقال الهروي : موشية مخططة .

وقال الداودي : لونها أخضر لأنها لباس أهل الجنة . كذا قال . وقال ابن بطال : هي من برود اليمن تصنع من قطن وكانت أشرف الثياب عندهم .

وقال القرطبي : سميت حبرة لأنها تحبر أي تزين ، والتحبير التزيين والتحسين . انتهى ما في الفتح .

عن قتادة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قلت له : أي الثياب كان أحب إلى النبي ﷺ قال : الحبرة ». (بخاري ـ لباس ـ باب البرود والحبرة والشملة ٢٨/٤) رقمه في الفتح : ٥٨١٢) .

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ أن يلبسها الحبرة» . (بخاري ـ باب البرود والحبر والشملة ـ رقمه في الفتح : ٥٨١)

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : «أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ حين توفي سجي ببرد حبرة» (المرجع السابق : ورقمه في الفتح : ٥٨١٤).

قوله : «سجي» أي غطي ، يقال : سجيت الميت إذا مددت عليه الثوب ، وكأن المصنف رمز إلى ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك ، فأخرج أحمد من طريق الحسن البصري : «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن ينهى عن حلل الحبرة لأنها تصبغ بالبول فقال له أبي : ليس ذلك لك ، فقد لبسهن النبي ﷺ ولبسناهن في عهده ﷺ . . .» (ذكره الحافظ في الفتح ٢٨٨/١٠).

فائدة جليلة : عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله ﷺ فقال لي : يا عائشة ! اغسلي هذين البردين ، فقلت : يا رسول الله ! بالأمس غسلتهما ، فقال لي : أما علمت أن الثوب يسبح ، فإذا اتسخ انقطع تسبيحه» (أخرجه الخطيب في تاريخه كما في الدر المنثور ١٨٥/٤ للسيوطي رحمه الله) .

قال أبو طلحة : هذه هي نية الصالحين من نظافة الثياب وغسلها واستعمالها. فأين نحن من هذا ؟ اللهم وفق لذلك آباءنا وأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا آمين يا رب العالمين .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : جاءت امرأة ببردة، قال سهل : هل تدري ما البردة ؟ قال : نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها قالت : يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها فأخذها رسول الله ﷺ محتاجا إليها ، فخرج إلينا وإنها لإزاره فجسها - أي مسها بيده - رجل من القوم فقال : يا رسول الله ! اكسنيها ، قال : نعم فجلس ما شاء الله في المجلس ، ثم رجع فطواها ، ثم أرسل بها إليه ، فقال له القوم : ما أحسنت : سألتها إياه وقد عرفت أنه لا يرد سائلا ، فقال الرجل : والله ما سألتها إلا لتكون كفني يوم أموت ، قال سهل : فكانت كفنه» .

(بخاري - لباس - باب البرود والحبرة والشملة ٢٨/٤).

قال العلماء : وفي الحديث من الفوائد وهي :

١ - جواز لبس البردة .

٢ - جواز قبول الهدية من النساء .

٣ - جواز التصدق بالهدية .

٤ - التكفن بالبردة .

٥ - التبرك بلباس النبي ﷺ وآثاره .

٦ - جواز طلب العطاء مع الكراهة وفيها تفصيل . اهـ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «صنعت لرسول الله ﷺ بردة سوداء فلبسها ، فلما عرق فيها وجد ريح الصوف فقذفها ... وكانت تعجبه الريح الطيبة» . (ابو داود - لباس - ٥٤/٤ ح : ٤٠٧٤) .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ لبس بردة سوداء ، فقالت عائشة رضي الله عنها : ما أحسنها عليك !! يشرب بياضك سوادها وسوادها بياضك . (أخرجه أحمد ج٦ص١٣٢ ، وأبو داود ج٤/٤٠٧٤) .

وكان إذا رآه أبو بكر رضي الله عنه يقول :

أمين مصطفى بالخير يدعو

كضوء البدر زايله الظلام

(خلاصة السير ص٢٠)

وكان عمر رضي الله عنه ينشد قول زهير في هرم بن سنان :

لو كنت من شيء سوى البشر

كنت المضيء ليلة البدر

ثم يقول : كذلك كان رسول الله ﷺ . (خلاصة السير ص٢٠).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه : «أن رسول الله ﷺ صلى في شملة قد عقد عليها».

(ابن ماجة - لباس - باب لباس الرسول ﷺ ١١٧٦/٢ح ٣٥٥٢).

ذكر خميصته صلى الله عليه وسلم

الخمائص : جمع خميصة ، وهي كساء من صوف أسود أو خذ مربعة لها أعلام والأعلام : زر كشة في الثوب شبيهة بالسيور .

عن عائشة و عبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك : لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر ما صنع.

(بخاري ـ لباس ـ باب الأكسية والخمائص ٢٨/٤) رقم : ٥٦٨٢ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : صلى رسول الله ﷺ في خميصة له لها أعلام ، فنظر إلى أعلامها نظرة ، فلما سلم قال: اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم ، فإنها ألهتني آنفا عن صلاتي، وائتوني بانبجانية أبي جهم بن حذيفة بن غانم ....»

(بخاري ـ لباس ـ باب الأكسية والخمائص ٢٩/٤ ـ رقم : ٥٦٨٣).

ذكر مرطه صلى الله عليه وسلم

قالت عائشة رضي الله عنها خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي (رضي الله عنهم) فأدخله ، ثم قال : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ . (مسلم – فضائل الصحابة رقم ٤٠٥٠) .

ذكر سراويله صلى الله عليه وسلم

السراويل : جمع سروال : فارسي معرب ، يذكر ويؤنث والجمع سراويل، وسروله فتسرول: ألبسها إياها فلبسها، وطائر مسرول : ألبس ريشه ساقية . (اللسان : ١٩٩٩).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخلت يوما السوق مع رسول الله ﷺ فجلس إلى البزازين ، فاشترى سراويل بأربعة دراهم وكان لأهل السوق وزان يزن فقال له النبي ﷺ : زن وأرجح فقال الوزان : إن هذه كلمة ما سمعتها من أحد . قال أبو هريرة رضي الله عنه : فقلت : كفى بك من الوهن والجفاء أن لا تعرف نبيك (ﷺ)، فطرح الميزان ووثب إلى يده يريد تقبيلها ، فجذب يده وقال : هذا يفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك ، إنما أنا رجل منكم ، فوزن وأرجح» . قال أبو هريرة : فذهبت أحمله عنه ... » .

(مجمع الزوائد ـ لباس ـ ١٢١/٥).

ذكر الحافظ في الفتح ٢٨٤/١٠ وقال : قوله : «باب السراويل» ذكر فيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما رفعه : «من لم يجد إزارا فليلبس سراويل» ... وقد أخرج حديث الدعاء للمتسرولات البزار من حديث علي رضي الله عنه بسند ضعيف .

وصح أنه ﷺ اشترى رجل سراويل من سويد بن قيس رضي الله عنه أخرجه الأربعة وأحمد وصححه ابن حبان من حديثه . وأخرجه أحمد أيضا من حديث مالك بن عميرة الأسدي قال: « قدمت قبل مهاجرة رسول الله ﷺ فاشترى مني سراويل فأرجح لي» وما كان ليشتريه عبثا **وإن كان غالب لبسه الإزار** .

وأخرج أبو يعلى والطبراني في «الأوسط» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «دخلت يوما السوق مع رسول الله ﷺ فجلس إلى البزاز فاشترى سراويل بأربعة دراهم» الحديث وفيه : « قلت : يا رسول الله وإنك لتلبس السراويل ؟ قال : أجل ، في السفر والحضر والليل والنهار ، فإني أمرت بالتستر» وفيه يونس ابن زياد البصري وهو ضعيف.

قال ابن القيم رحمه الله في «الهدي» : اشترى ﷺ السراويل ، والظاهر أنه إنما اشتراه ليلبسه .

ثم قال : وروي في حديث أنه لبس السراويل ، وكانوا يلبسونه في زمانه وبإذنه ، قلت : وتؤخذ أدلة ذلك كله مما ذكرته ، ووقع في الإحياء للغزالي : أن الثمن ثلاثة دراهم والذي تقدم أنه أربعة دراهم أولى . انتهى ما ذكره الحافظ في الفتح .

ألوان ثيابه ﷺ وحكمه ﷺ فيها

وقد تقدم أن النبي ﷺ استعمل حلة حمراء ، وعمامة سوداء ، وبردة سوداء ، وكان النبي ﷺ يلبس الثوب الأبيض والأخضر وإليك تفصيله :

فعن الأسود الديلي أن أبا ذر رضي الله عنه حدثه قال: «أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: ما من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ؟ قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر. وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر .

قال أبو عبد الله (البخاري رحمه الله) : هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم وقال : لا إله إلا الله، غفر له. (بخاري ـ لباس ـ باب الثياب البيض٤/٣٠) رقم : ٥٦٩٣) .

وعن سعد رضي الله عنه قال : «رأيت بشمال النبي ﷺ وبيمينه رجلين عليهما ثياب بيض ، يوم أحد ما رأيتهما قبل ولا بعد» (بخاري ـ لباس ـ باب الثياب البيض ٣٠/٤).

ذكر الحافظ في الفتح ٢٩٥/١٠ : شارحا للحديث المذكور وقال : وقد أخرج أحمد وأصحاب السنن وصححه الحاكم من حديث سمرة رفعه «عليكم بالثياب البيض فالبسوها فإنها أطيب وأطهر ، وكفنوا فيها موتاكم ... »

ثم قال الحافظ : وحديث سعد وهو ابن أبي وقاص رضي الله عنهما ، تقدم في غزوة أحد وفيه تسمية الرجلين وأنهما : جبريل وميكائيل ، ولم يصب من زعم أن أحدهما إسرافيل . انتهى .

عن أبي رمثة رضي الله عنه قال : « خرج علينا الرسول ﷺ وعليه ثوبان أخضران» . (نسائي ـ زينة ـ باب لبس الخضر من الثياب ٢٠٤/٨)

عن أنس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ كان يحب الخضرة ، أو قال : كان أحب الألوان إلى رسول الله ﷺ» . (رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال الطبراني ثقات . (مجمع الزوائد ـ لباس ـ ما جاء في الصباغ ١٢٩/٥).

وعن أبي رمثة قال : «انطلقت مع أبي نحو النبي ﷺ فرأيت عليه بردين أخضرين» . (أبو داود ـ لباس ـ باب في الخضرة ٥٢/٤ ح : ٤٠٦٥) .

وعن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه قال : «رأيت على رسول الله ﷺ ثوبين أصفرين» . (رواه الطبراني في الصغير : ٢٣٣/١) .

وروى له أبو يعلى ... رأيت رسول الله ﷺ وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران رداء وعمامة» وفيه عبدالله بن مصعب الزبيري : ضعفه ابن معين (مجمع الزوائد ـ لباس ـ ماجاء في الصباغ ١٢٩/٥) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «خير أكحالكم الإثمد عند النوم ، ينبت الشعر ويجلو البصر ، وخير ثيابكم البياض ، فالبسوها وكفنوا فيها موتاكم» . (مسند الإمام أحمد رقم : (٢٤٨٣) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «خير ثيابكم البياض فالبسوها وكفنوا فيها موتاكم» . (ابن ماجة ـ لباس ـ باب البياض من الثياب ١١٨١/٢ح ٣٥٦٦) .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : «ألبسوا الثياب البيض وكفنوا فيها موتاكم فإنها أطهر وأطيب» . (مسند الإمام أحمد رقم : (١٩٨٣١) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ «إن أحسن ما زرتم الله به في قبوركم ومساجدكم البياض» . (ابن ماجة ـ لباس ـ باب البياض من اللباس ـ ١١٨١/٢ ح ٣٥٦٨)

وعن قيس التميمي رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ عليه ثوبا أصفر ورأيته يسلم على نساء». (رواه الطبراني وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف (مجمع الزوائد - لباس - ما جاء في الصباغ ١٣٩/٥).

قال العلماء: ومعنى قوله: «يسلم على النساء» يعني يلقى عليهن السلام - شفاها وأما المصافحة فلا. ولمس جسم المرأة أو يدها حرام شرعا. وقد قال النبي ﷺ: «إني لا أصافح النساء». وأقسمت عائشة رضي الله عنها وقالت: «ووالله ما مست يد النبي ﷺ كف امرأة قط في البيعة» قال العلماء: هذا في البيعة، فكيف به في غيرها.

حكاية عجيبة في المصافحة

قوله ﷺ: «إني لا أصافح النساء» قال أبو طلحة: هناك قصة غريبة حول المصافحة سمعتها من بعض أصدقائي، أذكرها إتماما للفائدة فهي:

حدثني أحد أصدقائي قصة صديقه فقال: قال صديقي - وسماه - خرجت يوما من بيتي لزيارة أخ لي في «بريطانيا»، فلما وصلت إلى منزله وقرعت الباب عليه، جاءت فتاة وهي خادمة لهم ففتحت لي الباب وكانت غير مسلمة، فلما رأتني قدمت يدها لمصافحتي، فاستحييت من مصافحتها لأنه محرم في الإسلام، ونبينا ﷺ ما مست يده يد امرأة أجنبية عند المصافحة حتى ولا عند مبايعته ﷺ للنساء، وما أذن لنا في ذلك، فتركت المصافحة وطرحت على يدها ثوبا كان عندي بدلا من المصافحة.

فغضبت الفتاة من تصرفي هذا غضبا شديدا، فدخلت المنزل بعد الاستئذان فاشتكتني عند سيدها (صاحب المنزل) وقالت: إن ضيفك هذا لا يعرف من آداب الزيارة شيئا حيث أنه رفض مصافحتي وأرى في ذلك امتهانا واحتقارا لي.

فقلنا لها : ليس الأمر كذلك كما تفهمين ، بل ديننا الإسلامي يمنع من ذلك ، وذلك صيانة لعرضك وعرض أخواتك من بنات حواء ، حتى منع الإسلام من أن تخاطب المرأة الأجانب بكلام فيه ترخيم كما تخاطب زوجها ، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقال إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع ، وقد قال تعالى ﴿إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾ (الأحزاب : ٣٢).

ومن شأن المسلم المؤمن إذا دعته إحداهن من الأجنبيات إلى الحديث والكلام يقول كما قال فضالة بن عمير الليثي رضي الله عنه :

قالت : هلم إلى الحديث فقلت : لا
يأبى عليك الله والإسلام

قال : فلما رأت الفتاة تصر في هذا ، وعلمت سبب عدم مصافحتها، وصيانة المرأة وحق طهارتها وعفتها في الإسلام (سلطان الأديان) فغلب عليها الشوق للدخول في الإسلام ، فساقها هذا الشوق إلى أن نور الله قلبها بالإيمان وأسلمت في حينها والحمد لله رب العالمين .

قلت : هذه هي بركة هدي المصطفى ﷺ وهو عدم مصافحة الأجنبية فإنه صار سببا لإيمان هذه الفتاة ، فطوبى لمن آمن وعمل صالحا ، واستن بسنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

ذكر خاتمه صلى الله عليه وسلم وحكم لبس خاتم الذهب

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له : إنهم لن يقرءوا كتابك إذا لم يكن مختوماً . فاتخذ خاتماً من فضة ونقشه محمد رسول الله . فكأنما أنظر إلى بياضه في يده . (صحيح البخاري مع الفتح رقم الحديث : ٥٨٧٥) .

وعنه رضي الله عنه نقش الخاتم ثلاثة أسطر : محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر» (البخاري مع الفتح رقم : ٥٨٧٨) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : «اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ورق، وكان في يده ثم كان بعد في يد أبي بكر (رضي الله عنه) ، ثم كان بعد في يد عمر (رضي الله عنه) ، ثم كان بعد في يد عثمان (رضي الله عنه) ، حتى وقع في بئر أريس ، نقشه محمد رسول الله» . ﷺ . (رواه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس باب نقش الخاتم) .

وكان نقش خاتم المصطفى صلى الله عليه وسلم كالآتي :
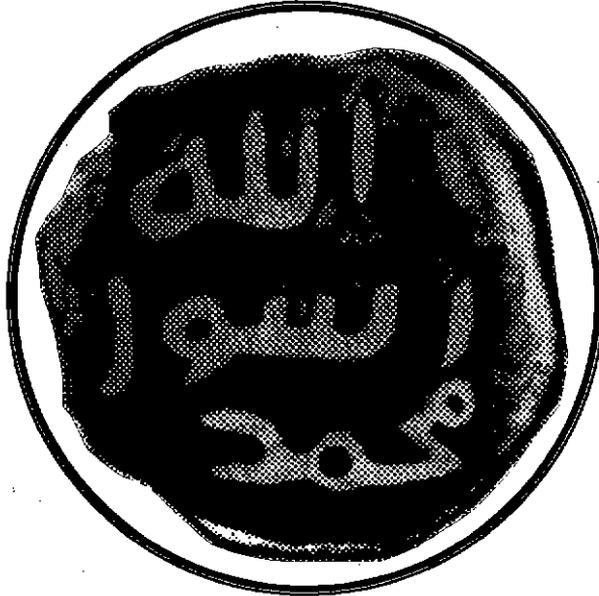
وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «كان خاتم رسول الله ﷺ من ورق ، وكان فصه حبشيا» (رواه مسلم في كتاب اللباس باب في خاتم الورق فصه حبشي ١٦٥٨/٣) .

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «كان خاتم رسول الله ﷺ من فضة فصه منه» (رواه الترمذي في كتاب اللباس باب ما استحب في فص الخاتم ٢٢٧/٤) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه نهى عن خاتم الذهب» (البخاري مع الفتح رقم : ٥٨٦٤).

وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفعه : «من مات من أمتي وهو يلبس الذهب حرم الله عليه ذهب الجنة» (الحديث اخرجه احمد والطبراني كما في الفتح ٣٣٠/١٠) .

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أخذ حريرا فجعله في يمينه، فأخذ ذهبا فجعله في شماله ، ثم قال : «إن هذين حرام على ذكور أمتي» . (رواه أحمد وأبو داود والنسائي كما في المشكاة رقم : ٤١٩٦) .

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه ، فقال : يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده ، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك ، انتفع به ، قال : لا والله ! لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول الله ﷺ . (رواه مسلم كما في المشكاة رقم : ٤١٨٨) .

يا عبدالله ويا أمة الله ! هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ أسرع اتباعا وامتثالا بأمر الله ورسوله ﷺ، وما نالوا رضا الله سبحانه إلا بالإخلاص والإتباع وترك الهوى حتى ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ وذلك لمن خشي ربه .

وما كان همهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلا اكتساب الرضا ومحبة الله ورسوله ﷺ ، وهذا هو هدف المؤمن من حياته وليس غيره ، قال تعالى : ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾ (التوبة : ٦٢) .

وقال تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ (آل عمران : ٣١) .

وعن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان يتختم في يمينه» . (رواه ابن ماجه في كتاب اللباس باب تختم باليمين) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ لبس خاتم فضة فيه فص حبشي ، كان يجعل فصه في بطن كفه» . (رواه ابن ماجه في كتاب اللباس باب جعل فص الخاتم مما يلي الكف) .

وعن أنس رضي الله عنه «كان خاتم النبي ﷺ في هذه وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى» (رواه مسلم في كتاب اللباس باب لبس الخاتم في الخنصر من اليد ١٦٥٩/٣) .

وعن أنس رضي الله عنه «صنع النبي ﷺ خاتما. قال : «إنا اتخذنا خاتما ونقشنا فيه نقشا ، فلا ينقش عليه أحد» . قال : فإني لأرى بريقه في خنصره» (رواه البخاري في كتاب اللباس باب الخاتم في الخنصر).

وعن علي رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : «يا علي سل الله الهدى والسداد» ونهاني أن أجعل الخاتم في هذه وهذه وأشار - يعني بالسبابة والوسطى - (رواه النسائي ١٧٧/٧) .

الخواتيم وحلية الذهب للنساء

عن عائشة رضي الله عنها قالت : «قدمت على النبي ﷺ حلية من عند النجاشي، أهداها له ، فيها خاتم من ذهب فيه فص حبشي ، قالت : فأخذ رسول الله ﷺ بعود معرضا عنه أو ببعض أصابعه ، ثم دعا أمامة ابنة أبي العاص ابنة ابنته زينب فقال : «تحلي بهذه يا بنية» (رواه ابوداود في سننه برقم : ٤٢٣٥) .

وفيه جواز استعمال خاتم الذهب للطفلة أيضا .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «شهدت العيد مع النبي ﷺ فصلى قبل الخطبة» .

وزاد ابن وهب عن ابن جريج : «فأتي النساء فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال رضي الله عنه » (رواه البخاري في كتاب اللباس باب الخاتم للنساء) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت قاعدا عند رسول الله ﷺ فأتته امرأة فقالت : يا رسول الله ! «سوارين من ذهب» قال : «سواران من نار» . قالت يا رسول الله «طوق من ذهب» قال : «طوق من نار» قالت : «قرطين من ذهب» . قال : «قرطين من نار» . قال : وكان عليها سواران من ذهب فرمت بهما ، قالت : يا رسول الله ! إن المرأة إذا لم تتزين لزوجها صلفت عنده . قال : «ما يمنع إحداكن أن تصنع قرطين من فضة ثم تصفره بزعفران أو بعبير» اللفظ لابن حرب .

(رواه النسائي في الزينة باب الكراهية للنساء في إظهار الحلي والذهب ١٥٩/٨) .

صفة نعل النبي ﷺ

عن أنس رضي الله عنه أن نعل النبي ﷺ كان لهما قبالان . (صحيح البخاري مع الفتح رقم : ٥٨٥٧) .

وعن عيسى بن طهمان قال : أخرج إلينا أنس بن مالك رضي الله عنه نعلين لهما قبالان، فقال ثابت البناني: هذا نعل النبي ﷺ . (صحيح البخاري مع الفتح رقم : ٥٨٥٨) .

وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٨٥٨/١٠: أخرج الترمذي في الشمائل وابن ماجه بسند قوي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : «كانت لنعل رسول الله ﷺ قبالان مثنى شراكهما» .

قوله «القبالان» : بكسر القاف هما الزمامان . والزمام هو السير الذي يعقد فيه الشسع الذي يكون بين أصبعي الرجل.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان لنعل النبي ﷺ قبالان ، ولنعل أبي بكر قبالان ، ولنعل عمر قبالان ، وأول من عقد واحدة عثمان» (رواه الطبراني في الصغير ٩٢/١ ، ورجاله ثقات (مجمع الزوائد : ١٣٨/٥) .

عن عبيد بن جريج أنه قال لعبدالله بن عمر : رأيتك تلبس النعال السبتية ، قال : رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال السبتية التي ليس فيها شعر ، ويتوضأ فيها ، فأنا أحب أن ألبسها . (أخرجه مالك في الموطأ ١/الحج ٣١ والبخاري كما في الفتح ٥٨٥١/١٠ وأبو داود ١٧٧٢/٣ وأورده صاحب أخلاق النبي ﷺ برقم : ٣٨٩) .

قوله : «النعال السبتية» بكسر السين ، هي النعال التي لا شعر لها ، وقال بعضهم : هي المدبوغة ، وكما زعم بعضهم أنها التي حلق عنها الشعر . وقال بعضهم : كأنه مأخوذ من لفظ

السبت لأن معناه القطع ، فالحلق بمعناه . وقالوا : قيل لها سبتية : لأنها تسبتت بالدباغ ، أي : لانت . (ملتقط من كتاب «اللباس والزينة من السنة المطهرة» لمحمد عبدالحكيم القاضي) .

فائـــــدة : قال الحافظ في الفتح (٣٠٩/١٠) (.. واستدل بحديث ابن عمر رضي الله عنهما في لباس النبي ﷺ . النعال السبتية ومحبته لذلك على جواز لبسها على كل حال . اهـ .

وعن مطرف بن عبدالله بن بن الشخير عن أعرابي لهم أنه رأى على رسول الله ﷺ نعلين مخصوفتين» (أخرجه أحمد (ج٥ ص٦، وص٥٨) وإسناده صحيح كما في هامش أخلاق النبي وآدابه ص ١٤٤) .

قوله : «نعلين مخصوفتين» أي المخروزتين أو المرقعتين .

وذكر في هامش «جزء تمثال نعل النبي ﷺ ص ١٨» لابن عساكر المتوفي سنة ٦٨٦هجري رحمه الله تعالى : قال الزين العراقي في «ألفيته» في السيرة النبوية :

ونعله الكريمة المصونة	طوبى لمن مس بها جبينه
لها قبالان بسير وهما	سبتيتان سبتوا شعرهما
وطولها شبر وأصبعان	وعرضها مما يلي الكعبان
سبع أصابع وبطن القدم	خمس وفوق ذا ست فاعلم
ورأسها محدد وعرض	بين القبالين ضبطهما
وهذه مثال تلك النعل	وذرعها أكرم بها من نعل

انتهى

صلوات الله وسلامه على سيدنا ونبينا محمد ﷺ

وإليك مثال نعل النبي ﷺ كما في «جزء تمثال النبي ﷺ» ص٢٠ لابن عساكر تحقيق : حسين محمد علي شكري ، وقد اهتم بنشره وطبعه دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع عام ١٤١٨هـ :

آداب الانتعال

عن عائشة رضي الله عنها قالت : «كان النبي ﷺ يحب التيمن في طهوره وترجله وتنعله» (صحيح البخاري مع الفتح رقم الحديث : ٥٨٥٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال : «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين فإذا نزع فليبدأ بالشمال لتكن اليمنى أولهما تنعل وآخرهما تنزع» (صحيح البخاري مع الفتح رقم : ٥٨٥٦) .

ذكر الحافظ في الفتح ٣٢٤/١٠ : وقال : قال النووي (رحمه الله) : يستحب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم أو الزينة ، والبداءة باليسار في ضد ذلك ، كالدخول إلى الخلاء ونزع النعل والخف والخروج من المسجد والاستنجاء وغيره من جميع المستقذرات ... انتهى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «نهى رسول الله ﷺ أن ينتعل الرجل قائما» (رواه ابن ماجه ١١٩٥/٢ وأبو داود رقم ٤١٣٥ والترمذي رقم ١٧٧٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لا يمشي أحدكم في نعل واحدة ، ليحفيهما أو لينعلهما جميعا» (صحيح البخاري مع الفتح رقم ٥٨٥٥) .

ذكر الحافظ في الفتح (٣٢٢/١٠) حيث قال : قوله : «باب لا يمشي في نعل واحدة» قال الخطابي : الحكمة في النهي أن النعل شرعت لوقاية الرجل عما يكون في الأرض من شوك أو نحوه، فإذا انفردت إحدى الرجلين احتاج الماشي أن يتوقى لإحدى رجلين ما لا يتوقى للأخرى ، فيخرج بذلك عن سجية مشيه ، ولا يأمن مع ذلك من العثار .

وقيل : لأنه لم يعدل بين جوارحه . وربما نسب فاعل ذلك إلى اختلال الرأي أو ضعفه .

وقال ابن العربي : قيل : العلة فيها أنها مشية الشيطان ، وقيل : لأنها خارجة عن الاعتدال .

وقال البيهقي : الكراهة فيه للشهرة فتمتد الأبصار لمن ترى ذلك منه . وقد ورد النهي عن الشهرة في اللباس ، فكل شيء صيره صاحبه شهرة فحقه أن يجتنب . انتهى .

وعن أبي رزين قال : خرج إلينا أبو هريرة رضي الله عنه فضرب بيده على جبهته فقال : ألا إنكم تحدثون أني أكذب على رسول الله ﷺ لتهدوا وأضل ، ألا وإني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا انقطع شسع أحدكم فلا يمشي في الآخر حتى يصلحها»

(رواه مسلم في صحيحه ١٦٦٠/٣) .

فصل

لباس الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

لا شك أن ما لبسه رسول الله ﷺ من الثياب ، قد لبسها أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اتباعا له ﷺ وكيف لا وقد كانوا أشد اتباعا له ﷺ في شئون الحياة كلها ، فلذلك جعل رب العزة والجلال إيمان أصحاب النبي ﷺ مثالا وميزانا للآخرين إلى يوم الدين ، ورغبهم في مثل هذا الإيمان السني قائلا : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق ..﴾ (البقرة : ١٣٧) .

قال القرطبي في تفسيره : ٩٦/١ : «الخطاب لمحمد ﷺ وأمته، والمعنى : فإن آمنوا مثل إيمانكم ، وصدقوا مثل تصديقكم فقد اهتدوا» انتهى .

ويؤيد ما ذكرناه قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال : من كان مستنا ـ أي مقتديا بسنة أحد وطريقته ـ فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة : أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة : أبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، أختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ولإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ـ على غيرهم ـ ، واتبعوهم على آثارهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ـ لأنهم كانوا أتباع الرسول الكريم ﷺ ـ» (رواه رزين كما في المشكاة باب الاعتصام بالكتاب والسنة) .

هـــذا ونذكر بعض الأحاديث المتعلقة بلباس أصحاب رسول الله ﷺ فنقول وبالله التوفيق والسداد :

فعن عبد الله بن بريدة : أن أباه رضي الله عنه حدثه قال : رأيت رسول الله ﷺ يخطب فأقبل حسن وحسين عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان ، فنزل النبي ﷺ فأخذهما فوضعهما في حجره فقال :« صدق الله ورسوله ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ رأيت هذين فلم أصبر» ثم أخذ في خطبته» . (ابن ماجة ـ لباس ـ باب لبس الأحمر للرجال ٢/١١٩٠ح ٣٦٠٠).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كساني النبي ﷺ حلة سيراء فخرجت فيها فرأيت الغضب في وجهه فشققتها بين نسائي .(مسلم ـ لباس ١٦٤٥/٣ ح ١٩).

ذكر الحافظ في الفتح وقال : قوله : «حلة سيراء» ... وقال الأصمعي ثياب فيها خطوط من حرير أو قز ، وإنما قيل لها سيراء لتسيير الخطوط فيها ، وقال الخليل : ثوب مضلع بالحرير ، وقيل : مختلف الألوان فيه خطوط ممتدة كأنها السيور. انتهى

ووقع عند أبي داود في حديث أنس رضي الله عنه «أنه رأى على أم كلثوم حلة سيراء» والسيراء المضلع بالقز .. وقال ابن سيده : هو ضرب من البرود، وقيل ثوب مسير فيه خطوط يعمل من القز ، وقيل : ثياب من اليمن ، وقال الجوهري : برد فيه خطوط صفر .

ثم قال الحافظ : قوله : (فشققتها بين نسائي) أي قطعتها ففرقتها عليهن خمرا ، والخمر : ما تغطي به المرأة رأسها ، والمراد بقوله : «نسائي» ما فسره في رواية أبي صالح حيث قال: «بين الفواطم» . ووقع في رواية النسائي حيث قال: « فرجعت إلى فاطمة فشققتها ، فقالت : ماذا جئت به قلت : نهاني رسول الله ﷺ عن لبسها فالبسيها واكسي نساءك» .

وفي هذه الرواية أن عليا رضي الله عنه إنما شققها بإذن النبي ﷺ، قال أبو محمد بن قتيبة : المراد بالفواطم : فاطمة بنت النبي ﷺ وفاطمة بنت أسد بن هاشم والدة علي ولا أعرف الثالثة .

وذكر أبو منصور الأزهري أنها فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب ... وفي رواية الطحاوي : «خمارا لفاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي رضي الله عنه ، وخمارا لفاطمة بنت النبي ﷺ ، وخمارا لفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب ، وخمارا لفاطمة أخرى قد نسيتها» فقال عياض : لعلها فاطمة امرأة عقيل بن أبي طالب وهي بنت شيبة بن ربيعة ، وقيل: بنت عتبة بن ربيعة ، وقيل: بنت الوليد بن عتبة، وامرأة عقيل هذه هي التي لما تخاصمت مع عقيل بعث عثمان معاوية وابن عباس حكمين بينهما ذكره مالك في «المدونة» وغيره (رضي الله عنهم أجمعين) .

واستدل بهذا الحديث على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب لأن النبي ﷺ أرسل الحلة إلى علي رضي الله عنه فبنى علي على ظاهر الإرسال ، فانتفع بها في أشهر ما صنعت له وهو اللبس، فبين له النبي ﷺ أنه لم يبح له لبسها ، وإنما بعث بها إليه ليكسوها غيره ممن تباح له، وهذا كله إن كانت القصة وقعت بعد النهي عن لبس الرجال الحرير . انتهى قول الحافظ .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما خرجت الحرورية أتيت عليا فقال : ائت هؤلاء القوم ، فلبست أحسن ما يكون من حلل اليمن . قال أبو زميل : وكان ابن عباس رضي الله عنهما رجلا جميلا جهيرا . قال ابن عباس رضي الله عنهما : فأتيتهم فقالوا : مرحبا بك يا ابن عباس ما هذه الحلة ؟ قال: ما تعيبون علي لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل» .

(سنن أبي داود ـ لباس ـ باب لباس الغليظ ـ ٤/٤٥ ح ٤٠٣٧) .

وفي شرح السنة (للبغوي) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى على عمر رضي الله عنه قميصا أبيض فقال : «أجديد قميصك هذا أم غسيل ؟» قال : بل غسيل . فقال ﷺ : «ألبس جديدا ، وعش حميدا ، ومت شهيدا» (مرقاة شرح المشكاة ـ لباس ـ ٢٥٣/٨) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على مشيخة من الأنصار، بيض لحاهم ، فقال: يا معشر الأنصار حمروا وصفروا وخالفوا أهل الكتاب ، قال : فقلنا : يا رسول الله ، إن أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزرون! فقال رسول الله ﷺ : تسرولوا وائتزروا وخالفوا أهل الكتاب ، قال: فقلنا يا رسول الله ، إن أهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون، قال : فقال النبي ﷺ : فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب ، قال: فقلنا : يا رسول الله إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ـ أي لحاهم ـ ويوفرون سبالهم ، قال: فقال النبي ﷺ : قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب.

(مسند أحمد رقم : ٢١٩٠٨) ومجمع الزوائد ـ لباس ـ باب مخالفة أهل الكتاب في اللباس وغيره : ١٣١/٥) .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : «.. قالوا يا رسول الله ! إن المشركين يتسرولون ولا يتزرون ، قال : فتسرولوا أنتم واتزروا ، قالوا : يا رسول الله ! إن المشركين يحتفون ، ولا ينتعلون . قال : فاحتفوا أنتم وانتعلوا وخالفوا أولياء الشيطان بكل ما استعطم»

(مجمع الزوائد ـ لباس ـ باب مخالفة أهل الكتاب في اللباس وغيره : ١٣١/٥)

وعن عكرمة أنه رأى ابن عباس رضي الله عنهما يأتزر فيضع حاشية إزاره من مقدمه على ظهر قدميه ، ويرفع من مؤخره ، قلت لم تأتزر هذه الإزرة ؟ قال : رأيت رسول الله ﷺ يأتزرها»

(أبو داود – لباس ـ رقم : ٣٥٧٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم ، فمنها ما يبلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ الكعبين ، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته» (بخاري – الصلاة رقم : ٤٢٣).

لبس القباء : القباء ممدود ، من الثياب : الذي يلبس مشتق من ذلك لاجتماع أطرافه ، والجمع أقبية وقبى ثوبه: قطع منه قباء (اللسان ـ ٣٥٢٣).

وفروج الحرير وهو القباء ويقال : هو الذي له شق من خلفه .

فعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه أنه قال : قسم رسول الله ﷺ أقبية ولم يعط مخرمة شيئا ، فقال مخرمة : يابني انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ ، فانطلقت معه ، فقال : ادخل فادعه لي ، قال : فدعوته له ، فخرج إليه وعليه قباء منها فقال : خبأت هذا لك . قال : فظر إليه فقال: رضي مخرمة» (بخاري ـ لباس ـ باب القباء وفروج الحرير٤/٢٦) وينظر رقم الحديث : (٥٦٦٧).

وعن السدي قال : رأيت الحسين بن علي وعليه عمامة خز قد خرج شعره من تحت العمامة» . (رواه الطبراني ورجاله ثقات ، مجمع الزوائد ـ لباس ـ باب استعمال الحرير لعلة : ١٤٥/٥) .

وعن عائشة رضي الله عنها « عمم رسول الله ﷺ بن عوف وأرخى له أربع أصابع وقال : «إني لما صعدت إلى السماء رأيت أكثر الملائكة معتمين». (مجمع الزوائد ـ لباس ـ باب العمائم ١٢٠/٥).

الفصل الثالث

فصل هام جدا
في لباس الصحابيات رضي الله عنهن

وهو خاص بلباس النساء وزينتهن

قبل أن نذكر بعض الأحاديث المتعلقة بلباس الصحابيات رضي الله عنهن نود أن نذكر بعض الإرشادات والمواعظ لأخواتنا المسلمات وذلك نصيحة لهن ، لكي يسهل عليهن الإقتداء بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن .

قال العلماء : للناس في دروب الحياة وشعابها غايات شتى ، وأهداف متعددة ، وآمال متغايرة ، فمنهم من يريد المال ، فتجده ينفق ساعات عمره وأيامه ولياليه في جمعه ، ولا يبالي أمن حلال أم من حرام ؟ ومن الناس من غايته اللهو واللعب والسفر والتجوال بحثا عن المتعة أينما وجدت .

ومن النساء من غايتها تضييع الوقت وإهدار ساعات العمر فيما يغضب الله عز وجل من مجالس السوء التي فيها الغيبة والنميمة والكذب والاستهزاء بالآخرين - وليس في مجالس نساءنا ورجالنا اليوم إلا هذا - إلا من رحم الله - فإذا نصحت إحداهن قالت : وماذا نفعل ، إننا نتسلى ونوسع صدورنا !!

ومنهن من غايتها الأكل والشرب وقضاء الوطر - ولبس ما اشتهت نفسها مهما كان حراما - ثم إنها لا تعرف شيئا بعد ذلك عن صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا حج ، وكأنها تقول بلسان الحال : ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ (المؤمنون : ٣٧) وتقول : «ما الأمر إلا أرحام تدفع وأرض تبلع !!» .

وهؤلاء جميعا مآلهم الشقاء ، ونهايتهم الحسرة والندم - وقانا الله من ذلك - ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (طه : ١٢٤-١٢٦) ﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى﴾ (النازعات : ٣٧-٣٩) .

أما أنت أيتها الأخت الفاضلة ! فغايتك سامية وهدفك نبيل إن غايتك هي رضا الله عز وجل وعبادته وحده لا شريك له ، والنجاة من النار والفوز بالجنة ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ (النازعات : ٤٠-٤١) .

من أجل ذلك - أختي المسلمة - فإنك دائما تتطلعين إلى معرفة أحكام الله عز وجل فيما يخصك من أمور . انتهى .

هذا ، ونقدم إليك بعض هذه المواعظ والتوجيهات من الرسالة المسمى «توجيهات للمؤمنات حول التبرج والسفور» للعلامة محمد صالح العثيمين رحمه الله فإنها نافعة بإذن الله .

قال الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله : وإن مما يندى له الجبين ويستدعي النظر فيه بنظر الشرع والعقل ، أنك ترى المرأة الشابة تخرج من بيتها إلى السوق بألبسة مغرية ، ألبسة جميلة إما قصيرة وإما طويلة ، ليس فوقها إلا عباءة قصيرة أو طويلة ، يفتحها الهواء أحيانا وترفعها هي عمدا أحيانا، تخرج بخمار تستر بها وجهها ، لكنه أحيانا يكون رقيقا يصف لون جلد وجهها ، وأحيانا تشده على وجهها شدا قويا بحيث تبرز مرتفعات وجهها ، كأنفها و وجنتيها ، تخرج لابسة من حلي الذهب ما لبست ثم تكشف عن ذراعيها حتى تبدوا الحلي كأنما تقول للناس : شاهدوا ما علي ! .

وفتنة كبرى ومحنة عظمى أنها تخرج متطيبة بطيب قوي الرائحة ، يفتن كل من في قلبه مرض من الرجال (من الذئاب

البشرية) ، وقد قال ﷺ :«إن المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا – يعني زانية -» (رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح).

وقال عليه الصلاة والسلام : «إذا خرجت إحداكن إلى المسجد فلا تمس طيبا» وتخرج من بيتها تمشي في السوق مشيا قويا كما يمشي أقوى الرجال وأشدهم ، كأنما تريد أن يعرف الناس قوتها ونشاطها ، وتمشي مع صاحبتها وهي تمازحها وتضاحكها بصوت مسموع وتدافعها بتدافع منظور ، تقف على صاحب الدكان تبايعه وقد كشفت عن ذراعيها ويديها ، وربما تمازحه ويمازحها ويضحك معها ، إلى غير ذلك مما يفعله بعض النساء من أسباب الفتنة ، والخطر العظيم ، والسلوك الشاذ الخارج عن توجيهات الإسلام ، وطريق أمة الإسلام .

يقول الله تعالى لنساء نبيه ﷺ وهن القدوة : ﴿وقرن في بيوتكم ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ الأحزاب : ٣٣ .

ويقول النبي ﷺ : «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، وبيوتهن خير لهن» خير لهن من أي شيء ؟ من مساجد الله . فكيف بخروجهن إلى الأسواق ؟ وإن هذا الحديث الصحيح ليدل على أنه يجوز للرجل أن يمنع المرأة من الخروج للسوق ، ما عدا المسجد ، ولا إثم عليه في ذلك ولا حرج .

أما منعها من التبرج والسفور والتعطر : فإنه واجب عليه ومسئول عنه يوم القيامة ، فإذا كانت المرأة العجوز ممنوعة من التبرج بالزينة ، فكيف تكون الشابة التي هي محل الفتنة ؟! يقول الله عز وجل : ﴿والقواعد من النساء اللائى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم﴾ (النور : ٦٠).

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ (النور : ٣١) وهو الخلخال الذي تلبسه في رجلها وتخفيه بثوبها ، فإذا ضربت برجلها على الأرض سمع

صوته ، فإذا كانت منهية أن تفعل ما يعلم به الرجال زينة الرجل المخفاة ، فكيف بمن تكشف عن ذراعها حتى تشاهد زينة اليد ؟! إن فتنة المشاهدة أعظم من فتنة السماع .

(وهذه هند بنت الحارث يحدث عنها الزهري قال : أخبرتني هند بنت الحارث عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : «... من يوقظ صواحب الحجرات ؟ كم من كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة» . قال الزهري : وكانت هند لها أزرار في كميها بين أصابعها .

(بخاري ـ باب ما كان النبي ﷺ يتجوز من اللباس ـ رقم ٥٧١٠) .

قال الحافظ في الفتح : قوله : (قال الزهري : وكانت هند لها أزرار في كميها بين أصابعها) والمعنى : أنها كانت تخشى أن يبدو من جسدها شيء بسبب سعة كميها فكانت تزرر ذلك لئلا يبدو منه شيء فتدخل في قوله ﷺ :«كاسية عارية»). اهـ قلت : ففيه عبرة وعظة لبنات عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

ثم ذكر الشيخ عثيمين رحمه الله وقال : ويقول النبي ﷺ : «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا» . وصفهن النبي ﷺ بأنهن «كاسيات» أي عليهن كسوة ، ولكنهن «عاريات» لأن هذه الكسوة لا تستر ، إما لخفتها أو ضيقها أو قصرها . (أو شفافة لا تستر عورتها فتعاقب في الآخرة بالعري جزاء على ذلك .. أو كاسية جسدها لكنها تشد خمارها من ورائها فيبدو صدرها فتصير عارية فتعاقب في الآخرة) «مائلات» عن طريق الحق «مميلات» لغيرهن بما يحصل منهن من الفتنة «رءوسهن كأسنمة البخت المائلة» بما يلففن عليهن من شعورهن أو غيرها حتى يكون كأسنام البعير المائل .

شروط الإختلاط : أيها الإخوة : وإن من الشر العظيم والبلاء الكبير إختلاط النساء بالرجال ومزاحمتهن لهم ، وهذا موجود في كثير من محلات البيع والشراء ، وهو خلاف الشرع وخلاف هدي السلف الصالح ، فلقد خرج النبي ﷺ من المسجد وقد اختلط النساء مع الرجال ، فقال النبي ﷺ : «استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق ، عليكن بحافات الطريق ، فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليعلق به» .

ولقد حذر النبي ﷺ من اختلاط النساء بالرجال حتى في أماكن العبادة ، فقال عليه الصلاة والسلام : «خير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها» وإنما كان آخر صفوفهن خيرا لبعده عن الرجال ومخالطتهم ورؤيتهم لهن .

وفي هذا أوضح دليل على محبة الشرع لبعد المرأة عن الرجال واختلاطها بهم ، وإن الخير في ذلك ، فجدير بنسائنا أن يلزمن بيوتهن كما قال الله تعالى ﴿وقرن في بيوتكن﴾ (الأحزاب : ٣٣) وألا يخرجن إلى الأسواق ، وسيجدن ذلك ثقيلا عليهن في أول الأمر لكنهن سيألفن ذلك ، ويخف عليهن في النهاية ، فيصرن ذوات الخدور ، وربات الحياء وزينة البيوت . انتهى قول الشيخ عثيمين .

قصة عجيبة ذات عبرة في اختلاط الرجال بالنساء

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ : «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها» أخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود في سننه «باب صف النساء والتأخر عن الصف الأول» .

قال القارئ في المرقاة : قوله ﷺ : «خير صفوف الرجال» أي خير صفوف الرجال أولها لقربهم من الإمام وبعدهم من النساء ، وشرها آخرها لقربهم من النساء وبعدهم من الإمام ...

وخير صفوف النساء آخرها لبعدهن من الرجال ، وشرها أولها لقربهن من الرجال .

وقال ابن سيد الناس : «... وأما الصف الأول من صفوف النساء فإنما كان شرا من آخرها لما فيه من مقاربة أنفس الرجال النساء ، فقد يخاف أن تشوش المرأة على الرجل ، والرجل على المرأة . انتهى ما في المرقاة .

قال أبو طلحة : فإذا كان ابتعاد الرجال من النساء وابتعاد النساء من الرجال محبوبا ومحمودا في صفوف الصلاة مع أن الصلاة تمنع الإنسان من التفكر في المعاصي وتكفه عن نظر السوء وهو في بيت الله ، فكيف لا يكون هذا الإبتعاد محمودا في غير الصلاة ؟ وكيف لا يكون الاختلاط بين الرجال والنساء مذموما .

وإنا نرى النساء في الأسواق خائضات في جماعة الرجال وجالسات على مقاعد التعليم في الجوامع والكليات من غير حجاب وإنهن يطلبن التوظيف في الشعب الحكومية ليعملن مع الرجال سواء بسواء، وهذا ليس من الإسلام في شيء .

وقد أشاع أهل أوروبا أن النساء مساويات للرجال في كل شيء وهذا جهل منهم ، وإنما قالوا ذلك لحظوظ أنفسهم وجعلوا المرأة لعبة ، والمرأة تظن لسفاهتها أنهم ارتقوا بها في مدارج الكمال مع أنهم أنزلوها عن رتبة الإنسانية وجعلوها كالبهيمة يستمتع بها في الأسواق والطرق أعاذنا الله تعالى من ذلك .

قصة نفيسة : قال أبو طلحة : **حكى لنا قصة** أحد شيوخنا في أثناء محاضرته التي ألقاها على عامة الناس حيث قال : كنا في سفر مع الأحباب بالقطار إذ طلع علينا رجل شديد بياض اللون وشديد بياض القميص والقلادة وكذلك البنطال والجورب والنعل ، وجلس أمام مقعدي في القطار ، وكنت في مطالعة كتابي وهو يعاود النظر إلي مرة بعد أخرى ، فعندما نظرت فيه فطنت إلى أنه كان مرتقبا نظري إليه ، فقال لي : أيها الشيخ ! يبدو عليك

أنك من أهل العلم ، فهل لي أن أطرح عليك سؤالا ؟ فقلت له : نعم وقرة عين ، سلني ما شئت فلا ضير عليك ، فقال : هل يمنع الإسلام من اختلاط الرجال بالنساء في التعليم والوظائف ؟ قلت : نعم ، الإسلام يمنع من اختلاط الرجال بالنساء بالكلية ، وبينت له الأدلة والنصوص الشرعية حتى طال بنا المقام ، وأطلت معه النفس في الحديث .

حتى قال لي في الأخير : على الإنسان أن يضبط نفسه عند اختلاطه بالنساء ، فإذا وجد الانضباط فلا مانع من مخالطة النساء الرجال إذا، وما زال يكرر هذه الكلمة - أي الانضباط - مرة بعد أخرى .

فقلت في نفسي : لعل هذا من الذين قال الله تعالى في حقهم : ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (الحج : ٤٦) فلا تفيده النصوص الشرعية . فعمدت إلى طريقة أخرى وهي أنني أخرجت ليمونا كان معي في الزنبيل وسكينة ، فقطعت الليمون قطعتين وقلت له : اصدقني القول ، ولا تقل إلا الحق : هل وجدت طعم الليمون وحصل الماء في فمك بعملي هذا ؟ قال : نعم ، قلت : فأين ضبطك على نفسك وتكرره مرارا ؟ الليمون في يدي والسكين ، وقطعته بنفسي بعيدا عنك ، فما هو سبب وجود طعم الليمون والماء في فمك ؟

قال : لا بد أن يجد الإنسان أثر طعم الماء في فمه وذلك عندما ينظر إلى شيء حامض يقطع أمامه ؛ فقلت : هكذا إذا كانت العيون أربعة فلابد من الفساد في العالم لأن الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم . ﴿فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ انتهت القصة .

هذا ونرجع إلى ما ذكره الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله حيث قال :

فعلى أولياء الأمور من الرجال أن يفطنوا لذلك وأن يقوموا بما أوجب الله عليهم من رعاية وأمانة ، حتى يصلح الله لهم الأمور ، ويمنعهم من الفتنة .

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (التحريم : ٦).

التحذير من بعض الملابس

ثم ذكر الشيخ محمد صالح العثيمين وقال : أيها الاخوة : أولياء أمور النساء : لقد شاع عند بعض الناس وهان عليهم أن يلبسوا بناتهم لباسا قصيرا أو لباسا ضيقا يبين مقاطع الجسم وعظامه ، أو لباسا خفيفا يصف لون الجسم ، وإن الذي يلبس بناته مثل هذه الألبسة ، أو يقرهن عليها ، فإنما يلبسهم لباس أهل النار ، كما صح ذلك عن النبي ﷺ حيث قال «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد ... » الحديث ، وقد سبق آنفا .

♥ فيا أيها الأب المسلم ! ويا أيتها الأم المسلمة !

♥ هل ترضى أن تكون ابنتك وثمرة فؤادك من أهل النار ؟

♥ هل ترضى أن تلبسها لباسا تتعرى به من الحياء مع أن الحياء من الإيمان ؟

♥ هل ترضى لابنتك أن تعرضها كما تعرض السلع مجملة فاتنة يتعلق بها النظر كل سافل رذيل ؟

♥ هل ترضى أن تخرج من عادات أسلافك التي هي من آداب القرآن والسنة إلى عادات قوم أخذوها من اليهود والنصارى والوثنيين وعابدي الطبيعة ؟

أما علمتم أن هؤلاء القوم الذين غرقوا في بحر هذه المدنية الزائفة واكتسوا بهذه الأكسية العارية ، أما علمتم أنهم الآن يئنون من وطأتها ، وأنهم يتمنون الخلاص من رجسها ، لأنهم عرفوا

غايتها وجنوا ثمراتها السيئة ، وبئس الغاية ما وصلوا إليه ، وبئس الثمرة ما جنوا لأنفسهم ، وإذا لم نقاوم أيها الإخوة هذه الألبسة ونمنع منها بناتنا ، فسوف تنتشر في بلدنا وتعم الصالح والفاسد ، كالنار إن أطفأتها من أول أمرها قضيت عليها ونجوت منها ، وإن تركتها تستعر التهمت ما حولها ، ولم تستطع مقاومتها ولا الفرار منها فيما بعد ، لأنها تكون أكبر من قدرتك . وبعض الناس يتعللون بعلل غير صحيحة ، يقولون : إن عليهن سروالا ضافيا . ولكن هذه العلة ليست بصحيحة ، لأن هذه السراويل ضيقة تبين حجم الأفخاذ والعجيزة بيانا كاملا ، تظهر مفاصلها مفصلا مفصلا ، وتبين إن كانت البنت نحيفة أو سمينة ، وكل هذا مما يوجب تعلق النفوس الخبيثة والشريرة بها ، ويدخلها في قول النبي ﷺ : «كاسيات عاريات» نعوذ بالله من ذلك .

♥ ويقول بعض الناس : إن هذه البنت صغيرة ، ولا حكم لعورتها ، وهذه العلة ليست بموجبة للإباحة ، وذلك لأن البنت إذا لبستها وهي صغيرة ألفتها وهي كبيرة ، وإذا لبستها وهي صغيرة زال عنها الحياء ، وهان عليها إنكشاف أفخاذها وساقها ، لأن هذه المواضع من البدن إذا كانت مستورة من أول الأمر فإن المرأة تستعظم كشفها عند كبرها ، وإذا كانت مكشوفة من أول الأمر لم يكن عظيما في نفسها كشفها فيما بعد ، وهذا أمر معلوم بالعادة والحس : أن الإنسان إذا اعتاد شيئا هان عليه ، كما أننا نرى الآن أن هذه الألبسة تلبسها بنات كبيرات ينبغي عليهن الإحتجاب ، لأن البنت إذا بلغت مبلغا يتعلق بها النظر وتطلبها النفس فإنها تحتجب . قال الزهري رحمه الله : وهو من أئمة التابعين : «لا يصلح النظر إلى شيء ممن يشتهى النظر إليهن وإن كانت صغيرة» اهـ .

لكن كيف نستطيع مقاومة هذه الألبسة ؟ إننا نستطيع ذلك بأن يتأمل الإنسان بنظر العقل والإنصاف إلى منافع هذه الألبسة - ولا منفعة فيها - وإلى مضارها ، فإذا اقتنع من مضارها منع منها أهله وأقاربه الذين يستطيع منعهم ، ويحذر إخوانه منها ويشينها في نفوس البنات الصغار ، ويستقبحها عندهن ويستعيبها ، لتتركز في نفوسهن كراهة هذه الألبسة وبغضها حتى يرين أن من لبسها فهو معيب .

خطورة قضايا المرأة

ثم قال الشيخ عثيمين : أيها الإخوة : لقد أصبحت مشكلة النساء مشكلة خطيرة لا ينبغي تجاهلها أو السكوت عنها ، لأنها إن بقيت على ما هي عليه فسيكون لها عواقب وخيمة على البلد وأهلها ، أفلا يعقل المسئولون عن أهليهم وعن أولادهم أن على كل واحد منهم مسئولية أهله ؟ أفلا يمكنه أن ينصح امرأته وابنته وأخته وذات قرابته كما فعل رجال الأنصار حين نزلت سورة النور ؟ - وسيأتي ذكر ما فعلوا – ثم ألا يمكنه أن يمنع نساءه من الخروج إلا لحاجة لا بد منها ، ويلزمها إذا خرجت ألا تخرج متبرجة أو متطيبة ؟ ثم ألا يمكن من له بنات أو أخوات أو أقارب يدرسن ، أن يحثهن على بث الوعي بين الطالبات ، ودعوتهن إلى الخير ، وتحذيرهم من الشر والتجول في الأسواق ، وخروجهن بالزينة ؟ إن هذا كله ممكن ويسير إذا صدق الإنسان ربّه ، وخلصت نيّته ، وقويت عزيمته .

هذه - أيها الإخوة - توجيهات الله سبحانه وتعالى في كتابه ، وتوجيهات رسوله ﷺ في سنته ، قال الله عز وجل : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا﴾ (الأحزاب : ٣٦) .

﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ (النساء : ٦٩) .

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ (النور : ٣٠-٣١).

هذه توجيهات الإسلام ، أما طريق أهل الإسلام فقد قالت أم سلمة رضي الله عنها : لما نزلت هذه الآية : ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ (الأحزاب ٥٩) خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من السكينة ، وعليهن أكسية سود يلبسنها» .

وقالت عائشة رضي الله عنها : «ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ، أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل ، لقد نزلت سورة النور ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ (النور ٣١) فانقلب الرجل إلى امراته وابنته وأخته وكل ذي قرابته ، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت به ، تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله في كتابه» . (فكونوا أيها الناس : مثل هؤلاء الأبرار الذين عرفتهم السماء قبل الأرض فرضي الله عنهم ورضوا عنه . وفقني الله وإياكم لذلك) .

أفلا نأخذ أيها الإخوة بهذه التوجيهات الإسلامية ونعتبر بطريق أهل الإسلام ؟ أفلا نتقي الله عز وجل ؟ أفلا نتدارك ما وقع فيه كثير من النساء من مخالفة طريق أهل الإسلام ، ونلزمهن

بالسلوك السليم والصراط المستقيم ، حتى يكون مجتمعاً إسلامياً في رجاله ونسائه ، في عباداته وأخلاقه ؟

ولا يغرنكم من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فإن هذا التبرج والثياب القصيرة والضيقة إنما صنعت تقليدا لهم ، وإن أعداءكم يعلمون أنهم لو دعوكم إلى الكفر ما كفرتم ، ولو دعوكم إلى الشرك ما أشركتم ، ولكن يرضون منكم أن يهدموا أخلاقكم ودينكم بطريقة أخرى ، من جهة محقرات الذنوب التي يحقرونها في أعينكم ، فتحقرونها وتأتونها ، حتى تنزل بكم إلى النار ، قال النبي ﷺ : «إن الشيطان قد أيس أن تعبدوا الأصنام في أرض العرب ، ولكنه سيرضى منكم بدون ذلك ، بالمحقرات ، وهي الموبقات يوم القيامة» .

فلا تنخدعوا أيها الإخوة بما يقدمه لكم أعداؤكم ، فإما أن يكون في دينكم صلابة تتحطم عليها مكائد الأعداء ، وفيكم قوة الشخصية الإسلامية ، فلا تقتدون بهم ، ولا تغترون بهم ، وتتمسكون بما كان عليه أسلافكم الصالحون ، فتنالون خير الدنيا والآخرة ، وإما أن يكون الأمر بالعكس - نسأل الله السلامة - لينٌ في الدين ، وضعف في الشخصية ، وانهيار أمام المثيرات فتبوؤن بالصفقة الخاسرة : ﴿ قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ الزمر : ١٥ .

ويقول النبي ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم» .

ولأننا إذا عشقنا كل جديد وتتبعنا كل ما ورد إلينا من تقاليد غيرنا أوجب لنا أن ننساب في تقليدهم حتى ربما نقلدهم فيما هم عليه من الضلال في الأخلاق والعقائد والأفكار .

هذا وأسأل الله بأسمائه وصفاته الحسنى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه وأن يجعلنا هداة مهتدين ، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وجعلنا للمتقين إماماً . آمين يا رب العالمين . انتهى كلام ابن عثيمين رحمه الله

حكم لبس العباءة المطرزة

سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : ما حكم لبس العباءة التي في أطرافها أو أكمامها قيطان أو غيره ؟

فأجاب رحمه الله وقال : «محرم حيث إنه يؤدي إلى الفتنة .

فيا أختي المسلمة ! حكمي عقلك وفكري وتمعني في لبسك للعباءة ، فهل يعقل أن تستري الزينة بزينة أخرى ؟! وهل شرع الحجاب إلا لإخفاء تلك الزينة ؟! فلنكن على بينة من أمرنا ، ولنعلم أن أعداء الإسلام يحيكون ضدنا مؤامرة على الحجاب .

فيا أيتها المسلمة ! أنقذي نفسك من النار فإن متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ، فلا تغتري بمالك ولا جمالك ؛ فإن ذلك لا يغني عنك من الله شيئا !! وإني أنذرك وأحذرك بأن النبي ﷺ قد عرضت عليه النار ورأى أكثر أهلها النساء - فلا تكوني منهن وقاك الله من ذلك - وأنذرك بأن النبي ﷺ قال في النساء وأنت أحداهن : «اتقوا الدنيا واتقوا ا لنساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» وأنقذي نفسك من النار ، واعلمي أنك أعجز من أن تطيقي عذاب النار ، فإن الجبال لو سيرت في النار لذابت ، فأين أنت من الجبال الراسيات والصم الشامخات ؟! أنقذي نفسك من النار، واستجيبي لمنادي الحق ، واعلمي أن من (خاف) وترك شيئا لله (مما اشتهت نفسها) عوضه الله خيرا منها (وقد وعد المولى بذلك قائلا وهو لا يخلف الميعاد : ﴿أما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ (النازعات : ٤٠-٤١) . وأن الآخرة هي مسعانا وإن طالت الآمال في الدنيا ، فماذا تريدين من هذه العباءة المزركشة التي تشترينها بالمئات وأنت توضعين في القبر في كفن من أرخص الأقمشة ، فهل تنفعك هذه العباءة في ظلمة القبر ؟!! فتذكري نفسك وأنت في هذا الموضع .

(الشيخ ابن عثيمين : فتاوى المرأة)

توجيهات أخرى مفيدة في لباس المرأة

هــذا ، وإليك بعض الإرشادات والتوجيهات المفيدة في هذا الباب أيضا من كلام الشيخ أحمد يوسف ، وهي مقتنصة من محاضرته الخاصة بلباس المرأة فيقول الشيخ حفظه الله :

إن الله تعالى جبل المرأة على حب الزينة والعناية بالمظهر ، ولذلك أباح الشرع لها الذهب والحرير وغيرهما دون الرجال ، إشباعا لهذه السمة التي فطرها الله عليها ، إلا أن الرغبة في التقليد قد تزيد المرأة عن حد المباح ، فتقع في المحرم استجابة لهوى النفس فكان هذا الموضوع تذكيرا وتحذيرا .

وقال : إن الأصل في الألبسة هو الحل والإباحة إلا ما دل دليل على تحريمه ، والدليل على هذا الأصل قوله تعالى : ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ (البقرة : ٢٩).

وقوله تعالى : ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ (الأعراف : ٣٢) . وما سأذكره الآن هو ما دل الدليل على منعه وحذره منه ، أما ما عدا فباق على أصل الحل والإباحة .

ثم قال الشيخ : ولباس المرأة ينقسم إلى قسمين : لباس المرأة أمام النساء المحارم ، ولباسها أمام الرجال الأجانب ، أما محاذير لباسها أمام النساء والمحارم فسأتناول ثلاثة أنواع من الألبسة :

النوع الأول : الألبسة الغير الساترة والتي يلبسها كثير من النساء اليوم في الأعراس ومجامع النساء فهي غير ساترة لأنها لاصقة أو شفافة أو قصيرة أو تكشف العضد أو المنكب والصواب أن هذه الألبسة لا يجوز لبسها لخمسة أسباب :

السبب الأول : أن القول بأن عورة المرأة أمام المرأة ما بين السرة والركبة لم يثبت بدليل صحيح ، والأرجح أن المرأة لا تكشف إلا ما جرت العادة السوية بكشفه بين النساء كالرأس والعنق والذراعين والقدمين ، ولو سلمنا جدلا بأن عورة المرأة أمام المرأة من السرة إلى الركبة فإن هذه الألبسة لا تستر ما بين السرة والركبة حقيقة لكونها لاصقة أو شفافة أو مفتحة .

والسبب الثاني : أن هذه الألبسة غير الساترة ، هي محض تشبه وتقليد بالكافرات والماجنات وسقط المتاع من المغنيات والممثلات ، وفدت إلينا من القنوات الفضائية ومجلات الأزياء وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «من تشبه بقوم فهو منهم» .

السبب الثالث : أن التي تلبس هذه الألبسة يصدق فيها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا» (مسلم ـ لباس ـ باب النساء الكاسيات العاريات ٣/١٦٨٠ح ١٢٥).

والسبب الرابع : أن هذه الألبسة الفاضحة عرضة بأن تلبس المرأة أمام محارمها كالأب والابن والأخ والعم والخال وابن الأخ وابن الأخت ووالد الزوج وابن الزوج وقد حصل بسبب هذا التساهل شر عظيم .

والسبب الخامس : أن هذه الألبسة ذريعة لمفاسدة كثيرة إذا لم تمنع منها ، أن التساهل والتكشف يزداد يوما بعد يوم ، وهذا أمر يلحظه النساء ومنها القدوة السيئة للأخريات ، فإن المرأة سريعة التأثر بالقرينات والقريبات ، والمرأة ستكون اما وجدة ، فإذا كان هذا حال من رضيت بهذا اللباس فماذا سيكون حال بناتها وبنات بناتها والعياذ بالله ؟؟!.

حكم لبس المرأة البنطال

ثم قال الشيخ حفظه الله : النوع الثاني من الألبسة المحرمة أمام النساء والمحارم : لبس المرأة البنطال ، وقبل عشر سنوات أو أكثر بقليل لم يكن (البنطال) معروفا بين النساء بهذه البلاد ، وكان هناك حاجز من الدين والحياء دون هذا اللباس ، ثم نجح دعاة السوء في نشره بين النساء فنزل في الأسواق على هيئة واسعة فضفاضة يشبه الثوب إلا أنه يفصل ما بين القدمين ، فقبله كثير من الناس على هذه الحال فكسر الحاجز بينهم وبين هذا اللباس ، ولم نلبث إلا أشهر وسنوات حتى صار لباس البنطال بأنواعه وأشكاله معتادا ومرغوبا مع الأسف الشديد ، والصحيح أنه لا يجوز للمرأة لبس البنطال أمام نسائها ومحارمها لأمرين :

الأول : التشبه ، فبعضه فيه تشبه بالرجال والبعض الآخر فيه تشبه بالكافرات والفاسقات ، فإن كثيرا من النساء يلبسنه متابعة للموضة .

الأمر الثاني : أن في لبس البنطال للمرأة ذريعة إلى مفاسد كثيرة ، وسد الذريعة إلى المفسدة واجب ، ومفاسده قد ظهرت وانتشرت ، فبعض النساء تذهب إلى السوق وتمشي في الطريق وقد ظهر أو أظهرت البنطال من أسفل العباءة ، وهذا من أسوأ أنواع التبرج ولفت الأنظار ، وإذا لبسته المرأة أصبحت قدوة لغيرها شاءت أم أبت .

النوع الثالث : من الألبسة المذمومة أمام النساء والمحارم : لبس ما فيه تشبه محرم والتشبه المحرم هو التشبه بالكافرات أو الفاسقات أو الرجال والتشبه المحرم بالكفار يكون في أمرين :

الأول : ما كان من دينه ومعتقداته . الثاني : ما اختص به من عوائدهم كالألبسة وقد كان النبي ﷺ ينهى عن التشبه بالكفار ويأمر بمخالفتهم ، فهنا جانبان: الجانب الأول : النهي عن التشبه بالكفار ، والجانب الثاني : الأمر بمخالفة الكفار .

فحديث النهي عن التشبه هو حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم » الحديث

(رواه أحمد وأبو داود وإسناده حسن كما في المشكاة كتاب اللباس رقم الحديث : ٤٣٤٧) .

ومن الأحاديث التي كان النبي ﷺ يأمر فيها بمخالفة الكفار حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال : رأى رسول الله علي ثوبين معصفرين . فقال : «إن هذه من ثياب الكفار ، فلا تلبسها» (صحيح مسلم ـ اللباس ـ رقم : (٥٣٨٩)

وفي رواية أخرى لمسلم : قال : رأى النبي علي ثوبين معصفرين فقال : « أأمك أمرتك بهذا؟» قلت : أغسلهما. قال : « بل أحرقهما » . (المرجع السابق رقم : ٥٣٩١) .

قال النووي رحمه الله في شرحه لمسلم : قوله ﷺ «أأمك أمرتك بهذا» معناه : أن هذا من لباس النساء وزيهن وأخلاقهن، وأما الأمر بإحراقهما فقيل : هو عقوبة وتغليظ لزجره وزجر غيره عن مثل هذا الفعل ... والله أعلم .

حتى أستقر النهي عن التشبه بالكفار والأمر بمخالفتهم عند الصحابة رضي الله عنهم فكان من هدي النبي ﷺ الذي تربى عليه الصحابة ونشئوا عليه هو : مخالفة الكفار حتى قال اليهود بالمدينة : «ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه» . (أخرجه مسلم).

فمشابهة الكفار ولاء لهم ، ودليل محبتهم ، وقد ألف ابن تيمية رحمه الله كتابا عظيما في هذا الموضوع : «إقتضاء الصراط

المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم» وذكر فيه : أن المشاكلة في الظاهر تورث مشاكلة في الباطن . وفي الصحيحين عن النبي ﷺ «.. المرء مع من أحب» . (صحيح مسلم برقم : ٦٦٦٩) .

فهل تريد المرأة أن تحشر مع الكافرات ، ومع هذه المذيعة وتلك المغنية ؟ والله لا تريد المرأة المسلمة أن تحشر مع الكافرات مهما كانت ضعيفة الإيمان . إذا فعليها الحذر كل الحذر من محبتهم والتشبه بهم ، بل وعليها أن تتحرى مخالفتهم كما كان من هدي أمهاتها أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

أيتها الأخوات ! إن التشبه بهؤلاء دليل الإنهزام النفسي ودليل الذل والصغار لهم ، ودليل على أن هذه المقلدة قد أكبرت الكفار وأعظمتهم (إنا لله وإنا إليه راجعون) فأي عزة للمؤمنة وهي تحب الكافرات والماجنات .

لقد بلغنا أن بعض النساء قد أشرب في قلوبهن حب التقليد بالمذيعات والمغنيات والممثلات في اللباس وقصات الشعر .. بل وحتى في الحركات وطريقة الكلام ، بل وفي أمور هي أدق من ذلك .. مما يستحى من ذكره ، الله أكبر ، إنه مصداق ما أخبر به النبي ﷺ وحذر منه حيث قال :

«لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا: يارسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال: فمن» ؟

(بخاري ـ باب خلق آدم وذريته ﷺ ـ رقم : ٣٣٨١) . انتهى .

هـــذا وإليك بعض الألبسة التي استعملتها الصحابيات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ في الصفحات الآتية : فنقول وبالله التوفيق والسداد :

فصـــل

صفة لباس الصحابيات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ

جلباب والإزار المهدب

قال تعالى : ﴿يـا أيـها النـبي قـل لأزواجـك وبنـاتك ونسـاء المؤمنـين **يدنين عليهن من جلابيبهن** ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكـان الله غفـورا رحيمـا﴾ (الأحـزاب : ٥٩) ، وقـال تعـالى : ﴿وليضربـن بخمرهن إلى جيوبهن﴾ (النور : ٣١) .

وعـن عـروة بـن الزبـير أن عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زوج النـبي ﷺ - قـالت: «جـاءت امـرأة رفاعـة القرظي رسـول الله ﷺ وأنـا جالسـة وعنده أبو بكر فقالت: يارسول الله، إني كنت تحت رفاعـة فطلقني فبت طلاقي، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، وإنـه والله مـا معه يارسول الله إلا مثل الهدبة - وأخذت هدبة من جلبابها - فسـمع خالد بن سعيد قولها وهو بالباب لم يؤذن لـه - قـالت : فقـال خـالد: ياأبا بكر: ألا تنـهى هـذه عمـا تجهر بـه عنـد رسول الله ﷺ ؟ فـلا والله مـا يزيـــد رسـول الله ﷺ علـى التبسـم . فقـال لهـا رسـول الله ﷺ : لعلـــك تريديـــن أن ترجعـــي إلى رفاعـــة ، لا، حتـــى يذوق عسيلتك وتذوقـي عسيلته. فصـار سـنة بعـده» . (بخاري - لباس - باب الإزار المهدب ٤/٢٤-٢٥) رقم الحديث ٥٦٥٩) .

وعن فاطمـة بنـت الوليـد قـالت : «أنـها كـانت بالشـام تلبس الثياب من ثيـاب الخز ثـم تـأتزر فقيـل لهـا : أمـا يغنيـك هـذا عـن الإزار فــقالت : أنـي سمــعت رســـول الله ﷺ يأمـــر بـــالإزار».
(مجمع الزوائد - لباس - باب كسوة النساء ٥/١٣٧ـ ١٣٨) .

الريطـــة : الملاءة إذا كانت قطعـة واحـدة ولم تكـن لفتـين والجمـع ريط وقيل : كل ثوب رقيق لين (مختار ٢٢٦، مصباح ١/١٢٠).

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عـن جـده رضي الله عنه قـال : هبطنـا مع رسول الله ﷺ من ثنيـة فـالتفت إلي وعلـي ريطـــة مضرجـة بالعصفر فقال : ما هذه الريطـة عليـك ؟ فعرفـت مـا كـره، فـأتيت أهلي وهم يسجرون تنـورا لـهم فقذفتـها فيـه ثـم أتيتـه مـن الغـد، فقال: يا عبد الله ما فعلت الريطـة ؟ فأخبرتـه ، فقـال : ألا كسوتها بعض أهلك فإنـه لا بأس بـه للنساء.» (أبو داود ـ لباس ـ ٤/٥٢ح ٤٠٦٦) .

الحقـــو : الكشح وقيل معقد الإزار . والإحتقاء : شـد المـئزر على الحقو . (مختار ـ ١٤٨ـ مصباح ١/٧١).

عن أيوب عن محمد أن عائشـــة رضي الله عنها نـــزلت علـى صفيـة أم طلحة الطلحات فرأت بناتا لها ، فقـالت : إن رسـول الله ﷺ دخـل وفي حجرتي جاريـة ، فـألقى إلي حقـوة وقـال لـي : شـقيه بشـقتين فأعطي هذه نصفا والفتاة التـي عند أم سلمة نصفـا فـإني لا أراهـا إلا قد حـــاضت أو لا أراهما إلا قد حاضتا . . .» . (أبو داود ـ صلاة ـ بـاب المرأة تصلي بغير الخمار ١/١٧٣ح ٦٤٢).

الخمـــار : أصله من التخمير وهو التغطية وهو ما تغطى بـه المرأة رأسها فلا يظهر منـه شيء (مختار ١٨٩ـ مصباح ١/٨٨)

فعـن عـروة عـــن عائشـــة رضي الله عنها قـــالت : يرحـــم اللـــه نسـاء المـهاجرات الأول لمـا أنـــزل اللـه ﴿وليضربـــن بخمرهـــن علـــى جيوبـهن﴾ شـقفن مـروطـهن فـاختمرن بـها .(بخـاري ـ لبـاس ـ بـاب وليضربن بخمرهن على جيوبهن) .

قولـه : (فـاختمرن) أي غطـين وجوهـــهن ؛ وصفــة ذلــك أن تضع الخمـار علـى رأسـها وترميـه مـن الجـانب الأيمـن علـى العـاتق الأيسر وهو التقنـع .

قال الفراء : كانوا في الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما قدامها، فأمرن بالاستتار، والخمار للمرأة كالعمامة للرجل. (ذكره الحافظ في الفتح) .

ثم ذكر الحافظ وقال : حدثنا أبو نعيم ... عن صفية بنت شيبة قالت : ذكرنا عند عائشة رضي الله عنها نساء قريش وفضلهن ، فقالت : إن نساء قريش لفضلاء ، ولكني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا بكتاب الله ولا إيمانا بالتنزيل ، لقد أنزلت سورة النور ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها ، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان» ويمكن الجمع بين الروايتين بأن نساء الأنصار بادرن إلى ذلك . انتهى .

القباطي : جمع قبطية ، وهي الثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء وكأنه منسوب إلى القبط ، وهم أهل مصر . (النهاية ٨/٤).

وعن دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه أنه قال : أتي رسول الله ﷺ بقباطي ، فأعطاني منها قبطية فقال : اصدعها صدعين فاقطع أحدهما قميصا ، واعط الآخر امرأتك تختمر به ، فلما أدبر قال وأمر امرأتك أن تجعل تحته ثوبا لا يصفها. (أبو داود - لباس - باب في لبس القباطي للنساء ٦٥٢،٦٤/٤ح ٤١١٦).

عن أم خالد بنت خالد رضي الله عنها قالت : أتي رسول الله ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء قال من ترون نكسوها هذه الخميصة فأسكت القوم قال : ائتوني بأم خالد ، فأتي بي النبي ﷺ فألبسنيها بيده وقال : أبلي وأخلقي مرتين فجعل ينظر إلى علم الخميصة ويشير بيده إلي ويقول : يا أم خالد هذا سنا ويا أم خالد هذا سنا ، والسنا بلسان الحبشية : الحسن ..» .

(أبو داؤد - لباس - باب فيما يدعى عن لبس ثوبا جديدا ٤٢/٤ح ٤٠٢٤).

وعن أم خالد بنت خالد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت : أتي النبي بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال : من ترون أن نكسو هذه ؟ فسكت القوم. قال : ائتوني بأم خالد ، فأتي بها تحمل ، فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال : أبلي وأخلقي. وكان فيها علم أخضر أو أصفر فقال : يا أم خالد هذا سناه ، وسناه بالحبشية : حسن» (بخاري ـ لباس ـ باب الخميصة السوداء ٤/٢٩).

عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : كساني رسول الله ﷺ قبطية كثيفة مما أهداها له دحية الكلبي فكسوتها امرأتي فقال لي رسول الله ﷺ : «مالك لم تلبس القبطية؟» قلت : يا رسول الله كسوتها امرأتي فقال رسول الله ﷺ : «مرها فلتجعل تحتها غلالة فإني أخاف أن تصف حجم عظامها». (مجمع الزوائد ـ لباس باب كسوة النساء ـ ١٣٦/٥، ١٣٧). **فليتفكر الزوج والزوجة في هذا الحديث**.

وعن أمة الله بنت مذعور عن أمها رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالت : «دخلت على أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وهي تصلي في درع وخمار ، فسألتها عن العلم .. فقالت : كنا نلبس مثل هذا الثوب ـ لثوب عليها ـ فيه علم حرير على عهد رسول الله ﷺ» .(مجمع الزوائد ـ لباس ـ باب ما جاء في الحرير والذهب ١٤٤/٥).

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوما ـ أي إلى الإسلام ومتابعة سيد الأنام ﷺ ـ فاسمعتني في رسول الله ﷺ ـ أي في شأنه ـ ما أكره ، فأتيت رسول الله ﷺ أبكي ـ أي من الحزن حيث لم أقدر على تأديبها لأنها أمي ـ قلت : يا رسول الله ! أدع الله أن يهدي أم أبي هريرة . فقال : «اللهم اهد أم أبي هريرة» فخرجت مستبشرا بدعوة النبي ﷺ ، فلما صرت إلى الباب ـ أي باب بيت أمي ـ فإذا هو ـ الباب ـ مجاف ـ أي مردود ـ فسمعت أمي خشف قدمي

ـ أي صوتهما ـ فقالت : مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خضخضة ـ أي تحريكه أو صوته ـ فاغتسلت ولبست درعها ـ أي قميصها ـ وعجلت عن خمارها ـ أي تركت خمارها من العجلة ـ ففتحت الباب ، ثم قالت : يا أبا هريرة ! أشهد أن لا إله إلا الله أن محمدا عبده ورسوله ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكي من الفرح فحمد الله وقال : خيرا» . (متفق عليه كما في المشكاة كتاب الشمائل رقم الحديث : ٥٨٩٦) .

وفي آخر هذا الحديث كما في رواية مسلم : قال ـ أبو هريرة رضي الله عنه ـ قلت : يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : «خيرا» قال : قلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا ، قال : فقال رسول الله ﷺ : «اللهم حبب عبيدك هذا ـ يعني أبا هريرة ـ وأمه إلى عبادك المؤمنين ، وحبب إليهم المؤمنين» فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني» (صحيح مسلم رقم الحديث : ٤٥٤٦ ـ كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين) .

قوله : «وعجلت عن خمارها» أي تركت خمارها من العجلة ، وفي هامش المشكاة ٣/ص ١٦٥٤:

(هذا ، وفي الحديث إشارة إلى ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الحشمة والأدب . فهذه أم أبي هريرة رضي الله عنهما ودت أن لا تظهر أمام ابنها إلا متخمرة لو لا العجلة ، فأين هذا من حال أكثر النساء اليوم اللاتي يظهرن أمام أقاربهن من الرجال الذين ليسوا محرما لهن باديات الشعور والنحور ، والأفخاذ والصدور ، فإلى الله المشتكى مما وصل إليه الحال : من قلة الحياء في النساء ، والغيرة من الرجال) انتهى.

قال أبو طلحة : وهذه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تغطي جسدها بشدة بالغة وهو في بيتها حياء من عمر لأنه مدفون في بيتها رضي الله عنهما :

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله ﷺ وإني واضع ثوبي وأقول : إنما هو زوجي وأبي ، (أي مدفون فيه) فلما دفن عمر (رضي الله عنه) معهم فوالله ما دخلته إلا وأنا مشددة ثيابي علي ، حياء من عمر» رضي الله عنه .
(رواه أحمد كما في المشكاة - باب زيارة القبور) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : «رأيت على زينب بنت رسول الله ﷺ قميص حرير سيراء» (ابن ماجه - لباس - باب لبس الحرير والذهب للنساء ١١٩٠/٢ ح ٣٥٩٨ ، والنسائي : ١٩٧/٨) .

وعن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثني «أنه رأى على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ برد سيراء» والسيراء : المضلع بالقز . (نسائي - زينة - باب الرخصة للنساء في لبس الحرير ١٩٧/٨) .

وذكر القرطبي في أحكام القرآن ٢٦٠/٥ عند تفسير قوله تعالى : ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير﴾ (النساء : ١٢٨) :

أن رسول الله ﷺ كان غضب على صفية ، فقالت لعائشة رضي الله عنها : أصلحي بيني وبين رسول الله ﷺ ، وقد وهبت يومي لك.

ذكره ابن خويز منداد في أحكامه عن عائشة رضي الله عنها قالت : وجد رسول الله ﷺ على صفية في شيء ؛ فقالت لي صفية : هل لك أن ترضين رسول الله ﷺ عني ولك يومي ؟ قالت : **فلبست خمارا كان عندي مصبوغا بزعفران ونضحته** ، ثم جئت فجلست إلى جنب رسول الله ﷺ فقال : «إليك عني فإنه ليس بيومك» . فقلت : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ؛ وأخبرته الخبر ، فرضي عنها .

ثم قال القرطبي : وفيه أن ترك التسوية بين النساء وتفضيل بعضهن على بعض لا يجوز إلا بإذن المفضولة ورضاها . انتهى .

فائدة جليلة : قال أبو طلحة : هكذا كان رسول الله ﷺ مع أزواجه : يرضى عنهن بسهولة ، ويعفو عنهن ، ويقبل عذرهن ويصفح صفحا جميلا . وكان ﷺ يريد بذلك الخير من ربه الذي بيده الخير عملا بقوله : ﴿..والصلح خير﴾ الآية.

وهكذا كانت سيرة أمهاتنا - أمهات المؤمنين - : فإن كل واحدة منهن تعين جارتها - أي ضرتها - رضي الله عنهن . وما كن رضي الله عنهن مثل أزواجنا اليوم ، بأنه إذا غضب الرجل من زوجته الأولى تفرح بذلك الثانية ، وتريد دوام عداوتها مع زوجها أو طلاقها لكي تبقى هي الوحيدة معه - إلا من رحم الله - . وقد قال تعالى : *﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾* (الرعد : ٢٥) .

أما نحن معشر الأزواج - فإذا وقعت الكارثة بين الزوج والزوجة - ولا مفر من ذلك - وغضب الزوج على زوجته بسبب ما فأراد الناس أن يصلحوا بينهما ، يقول أحدهم : لن أرضى عنها حتى تمسك قدمي وتغسلهما أمام الناس . فليس هذا من شمائل النبي ﷺ أيها المحب لهذا النبي الحبيب ﷺ .

بل قد ورد الخبر عن النبي ﷺ قال : «لا خير في النساء ، ولا صبر عنهن ، يغلبن كريما ، ويغلبهن لئيم ، فأحب أن أكون كريما مغلوبا ، ولا أحب أن أكون لئيما غالبا» (ذكره صاحب روح المعاني الجزء ٥/ص ١٤ عند تفسير قوله تعالى ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا﴾ (النساء : ٨) .

وقال صعصعة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يا أمير المؤمنين ! كيف ننسبك إلى العقل وقد غلب عليك نصف إنسان ! يريد غلبة امرأته فاختة بنت قرظة عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «إنهن يغلبن الكرام ، ويغلبهن اللئام» (العقد الفريد ٧/١٠٠ لابن عبد ربه الأندلسي) .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله في إحياء علوم الدين ٢/١٠٩ : وليس حسن الخلق معها ـ أي الزوجة ـ كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها ، والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله ﷺ ، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل اهـ .

وما أجمل ما قاله هوميروس الشاعر اليوناني : «إذا اتخذت امرأة فكن لها أبا وأما وأخا ! لأن التي تترك أباها وأمها وإخوتها وتتبعك ، فمن الحق أن ترى فيك رأفة الأب ، وحنو الأم ، ورفق الأخ ، فإذا عملت بتلك النصائح تكن نعم الزوج الموفق» .

(تحفة العروس ص ١٨٥) .

فحري بنا أن نحسن أخلاقنا مع زوجاتنا اتباعا لنبينا ﷺ ونمنحهن ما أوجبه الله علينا بكل أمانة وإخلاص لينادي علينا المنادي يوم القيامة :

﴿*ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون*﴾ **(الزخرف : ٧٠ ـ ٧١) .**

قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده

قال النبي ﷺ : «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة» .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان : سرف أو مخيلة» (بخاري - بداية كتاب اللباس)

ذكر الحافظ في الفتح في بداية كتاب اللباس وقال : قال الموفق عبد اللطيف البغدادي : هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه ، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة ، فإن السرف في كل شيء يضر بالجسد ويضر بالمعيشة فيؤدي إلى الإتلاف ، ويضر بالنفس إذ كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال ، والمخيلة تضر بالنفس حيث تكسبها العجب ، وتضر بالآخرة حيث تكسب الإثم ، وبالدنيا حيث تكسب المقت من الناس .. الخ » انتهى .

قال تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ﴾ (الأعراف : ٣٢) .

ذكر القرطبي في أحكام القرآن في تفسير قوله تعالى المذكور وقال : «... والزينة هنا الملبس الحسن ، إذا قدر عليه صاحبه. وقيل : جميع الثياب ؛ كما روي عن عمر رضي الله عنه : إذا وسع الله عليكم فأوسعوا.

وروي عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب شيخ مالك رضي الله عنهم أنه كان يلبس كساء خز بخمسين دينارا، يلبسه في الشتاء، فإذا كان في الصيف تصدق به ، أو باعه فتصدق بثمنه ، وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر ممشقين ويقول : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾.

يلبَس في الصيف ثوبين مـن مَتاع مِصر مُمَشَّقَيْن ويقـول : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾.

وإذا كان هذا فقد دلّت الآية علـى لبـاس الرفيـع مـن الثيـاب، والتجمُل بـها في الجُمَـع والأعيـاد ، وعنـد لقـاء النـاس ومـزاورة الإخوان . قال أبو العالية : كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا.

وفي صحيح مسلم مـن حديـث عمـر بـن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنـه رأى حُلَّـة سِيَرَاءَ تبـاع عنـد بـاب المسجد ، فقـال: يـا رسـول الله، لـو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفـود إذا قدِمـوا عليـك ؟ فقـال رسـول الله ﷺ : «إنما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة» .

فما أنكر عليه ذكر التجمّل ، وإنما أنكر عليه كونـها سِيَرَاءَ. - «وسيراء» : ثياب فيها خطوط من حرير أو قز -

وقد اشترى تميم الدّاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حلـة بـألف درهـم كـان يصلـي فيها. وكان مالك بن دِينار رحمه الله يلبس الثياب العدَنية الجياد. وكان ثوب أحمد بن حنبل رحمه الله يشترى بنحو الدينار.

أين هذا ممن يرغب عنـه ويؤثِـر لبـاس الخشـن مـن الكتـان والصوف من الثياب. ويقول: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ هيـهات ! أترى من ذكرنا تركوا لباس التقوى ، لا والله ! بل هـم أهـل التقـوى وأولو المعرفة والنُهَى . وغـيرهم أهـل دَعْوَى ، وقلوبـهم خاليـة مـن التقوى.

قال خـالد بـن شَوْذَب : شـهدت الحسـن وأتـاه فرْقـد ، فـأخذه الحسن بكسائه فمـدّه إليـه وقـال: يـا فرَيْقَـد ، يـاابن أم فريقـد ، إن البرّ ليس في هذا الكساء، إنما البـرّ ما وَقَرَ في الصدر وصدّقه العمل.

ودخل أبو محمد ابن أخي معروف الكرخيّ علـى أبـي الحسـن ابن يَسَار وعليه جبة صوف ، فقـال لـه أبـو الحسـن : يـا أبـا محمـد،

صوّفــت قــلبك أو جسمك ؟ صــوّف قلبـك ، والبـس القُـوهيّ على القُوهِيّ .

قال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله : وأنا أكره لبــس الفُوَط والمرقعات لأربعة أوجه : أحــدها : أنه ليس من لبس السـلف، وإنما كانوا يرقعون ضرورة. والثاني: أنه يتضمن ادعاء الفقر، وقد أمِر الإنسان أن يظهر أثر نِعَم الله عليــه. والثـالث: إظهار الـتزهد؛ وقد أمرنـا بستره. والـرابع: أنه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشـريعة. ومن تشبه بقوم فهو منهم.

وقال الطبريّ : ولقد أخطأ مـن آثـر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان مع وجـود السبيل إليـه مـن حلّه. ومَن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر. ومن تـرك أكل اللحم خوفاً من عارض شهوة النساء.

وسئل بشر بـن الحارث عــن لبــس الصــوف ، فشــق عليــه وتبينت الكراهة في وجهه ثم قال : لبـس الخَـزّ والمعَصْفَر أحـب إليّ من لبس الصوف في الأمصار .

وقال أبو الفرج : وقد كان السلف يلبسون الثيـاب المتوسطة لا المترفعة ولا الدّون، ويتخيّرون أجودها للجمعة والعيد وللقـاء الإخوان ، ولم يكن تخيّر الأجود عندهم قبيحاً.

وأما اللباس الذي يزري بصاحبه فإنه يتضمن إظهار الزهد وإظهار الفقر ، وكأنه لسان شكوى مــن الله تعالى ، ويوجب احتقار اللابس ؛ وكل ذلك مكروه مَنهِيّ عنه.

فإن قـال قـائل : تجويد اللبـاس هَوَى النفــس وقــد أمِرنــا بمجاهدتها ، وتزيّن للخلق وقد أمِرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق.

فالجــواب ليس كـل مـا تـهواه النفس يُذَم ، وليـس كـل مـا يُتزَيّن به للناس يُكره ، وإنما يُنْهَى عن ذلك إذا كان الشرع قـد نـهى

عنه أو على وجه الرياء في باب الدّين . فإن الإنسان يجب أن يُرى جميلاً . وذلك حظ للنفس لا يُلام فيه . ولهذا يسرح شعره وينظر في المرآة ويسوّي عمامته ويلبس بطانة الثوب الخشنة إلى داخل وظهارته الحسنة إلى خارج . وليس في شيء من هذا ما يكره ولا يُذم .

وقد روى مَكْحول عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب ، فخرج يريدهم، وفي الدار رَكْوة فيها ماء ؛ فجعل ينظر في الماء ويسوّي لحيته وشعره. فقلت : يا رسول الله ، وأنت تفعل هذا ؟ قال: «نعم إذا خرج الرجل إلى إخوانه فلْيُهَيِّيء من نفسه ، فإن الله جميل يحب الجمال» .

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيّ ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقالُ ذرّة من كِبر» . فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة . قال : «إن الله جميل يحب الجمال ، الكِبر بَطر الحق وغَمْطُ الناس» .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، تدل كلها على النظافة وحسن الهيئة .

وقد روى محمد بن سعد أخبرنا الفضل بن دُكَيْن قال حدّثنا مَنْدل عن ثور عن خالد بن معدان قال : كان رسول الله ﷺ يسافر بالمشط والمرآة والدّهن والسواك والكحل.وعن ابن جريج: مشط عاج يتمشط به.

قال ابن سعد : .. عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله ﷺ يكثر دهن رأسه ويسرّح لحيته بالماء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت لرسول الله ﷺ مكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثاً في كل عين . انتهى ما ذكره القرطبي رحمه الله .

هذا ، ولا تنس (وقد ذم الله سبحانه جمال الصورة وتمام القامة والخلقة فقال عن المنافقين : ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ (المنافقون : ٤) . وقال : ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً﴾ (مريم : ٤) أي أموالا ومناظر : قال الحسن : هو الصور .

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ : «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ...» لأن المحمود منه - أي من الجمال في الصورة واللباس والهيئة - ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والإستجابة له كما كان النبي ﷺ يتجمل للوفود وهو نظير لباس آلة الحرب ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه ، فإن ذلك محمود إذا تضمن إعلاء كلمة الله ونصرة دينه وغيض عدوه . والمذموم منه - أي من الجمال - ما كان للدنيا والرياسة والفخر والشهرة والخيلاء والتوسل إلى الشهوات وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه فإنَّ كثيرا من النفوس ليس لها همة في سوى ذلك - ويوجد هذا المرض في النساء أكثر من الرجال -)

ما بين القوسين من كلام ابن القيم رحمه الله ذكره في «الفوائد» ص ١٨٤ .

التواضع في اللباس والزينة والخشونة والوقار

وقال تعالى : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾ (الفرقان : ٦٣) .

قال القرطبي رحمه الله : «.. فمن أطاع الله وعبده وشغل سمعه وبصره ولسانه وقلبه بما أمره فهو الذي يستحق اسم العبودية (أي في قوله تعالى : وعباد الرحمن) ومن كان بعكس هذا شمله قوله تعالى : ﴿أوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (الأعراف: ١٧٩) يعني في عدم الاعتبار. انتهى .

وأشار جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ أن ضَعْ نفسك فكان يأكل أكلة العبد ويجلس جلسة العبد .

وعن سالم بن عبد الله أن أباه حدثه :«أن رسول الله ﷺ قال «بينما رجل يجر إزاره خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»». (بخاري ـ لباس ـ باب من جر ثوبه خيلاء ٢٤/٤).

حكاية عجيبة ذات عبرة

حكي عن بعضهم أنه قال : رأيت رجلا في الطواف وبين يديه خدم يطردون الناس ، ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يتكفف ويسأل ، فحدقت النظر إليه لأتعرفه هل هو ذلك الرجل أو لا ؟ فقال : ما لك تطيل النظر إلىّ ؟ فقلت : أشبهك برجل رأيته في الطواف من شأنه كذا وكذا ، فقال : أنا ذاك ، إني تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس ، فوضعني الله في موضع يترفع فيه الناس .(راجع تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٣٢١/٤).

وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ «من جر ثوبه مخيلة لم ينظر الله إليه يوم القيامة» ..وفيه : أذَكَر إزاره قال : ما خص إزارا ولا قميصاً». (بخاري ـ لباس ـ باب من جر ثوبه خيلاء ٢٤/٤).

ذكر الحافظ في الفتح وقال : فأخرج أصحاب السنن إلا الترمذي .. عن النبي ﷺ قال: « الإسبال في الإزار والقميص والعمامة من جر منها شيئا خيلاء» .. وقد أخرج أبو داود عن عبدالله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : «ما قال رسول الله ﷺ في الإزار فهو في القميص» .

وقال الطبري : إنما ورد الخبر بلفظ الإزار لأن أكثر الناس في عهده ﷺ كانوا يلبسون الإزار والأردية ، فلما لبس الناس القميص والدراريع كان حكمها حكم الإزار في النهي.

قال شيخنا في شرح الترمذي : ما مس الأرض منها خيلاء لا شك في تحريمه .. ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلاء فلا شك في تحريمه ، وما كان على طريق العادة فلا تحريم فيه ما لم يصل إلى جر الذيل الممنوع .

ثم قال الحافظ : وفي هذه الأحاديث أن إسبال الإزار للخيلاء كبيرة ، وأما الإسبال لغير الخيلاء فظاهر الأحاديث تحريمه أيضا .. قال ابن عبد البر : مفهومه أن الجر لغير الخيلاء لا يلحقه الوعيد ، إلا أن جر القميص وغيره من الثياب مذموم على كل حال ، وقال النووي : الإسبال تحت الكعبين للخيلاء ، فإن كان لغيرها فهو مكروه ..وقال (الشافعي) : والمستحب أن يكون الإزار إلى نصف الساق ، والجائز بلا كراهة ما تحته إلى الكعبين ، وما نزل عن الكعبين ممنوع منع تحريم إن كان للخيلاء .. اهـ .

ثم قال الحافظ بعد قليل : .. وحاصله أن الإسبال يستلزم جر الثوب ، وجر الثوب يستلزم الخيلاء ولو لم يقصد اللابس الخيلاء ... ويؤيده حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رفعه : «وإياك وجر الإزار فإن جر الإزار من المخيلة» .

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة «بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ لحقنا عمرو بن زرارة الأنصاري في حلة إزار ورداء قد أسبل ، فجعل رسول الله ﷺ يأخذ بناحية ثوبه

ويتواضع لله ويقول : عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، حتى سمعها عمرو فقال : يا رسول الله إني حمش الساقين ، فقال : يا عمرو إن الله قد أحسن كل شيء خلقه ، يا عمرو إن الله لا يحب المسبل» الحديث ، وأخرجه أحمد .. والطبراني أيضاً .. وفيه « وضرب رسول الله ﷺ بأربع أصابع تحت ركبة عمرو فقال : يا عمرو هذا موضع الإزار ، ثم ضرب بأربع أصابع تحت الأربع فقال : يا عمرو هذا موضع الإزار» الحديث ورجاله ثقات وظاهره أن عمرا المذكور لم يقصد بإسباله الخيلاء ، وقد منعه من ذلك لكونه مظنة .

وأخرج الطبراني من حديث الشريد الثقفي قال: «أبصر النبي ﷺ رجلا قد أسبل إزاره فقال : ارفع إزارك ، فقال : إني أحنف تصطك ركبتاي ، قال : ارفع إزارك ، فكل خلق الله حسن» وأخرجه مسدد وأبو بكر بن أبي شيبة .. وفي آخره «ذاك أقبح مما بساقك» .. انتهى ما ذكره الحافظ في الفتح .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «لا يَنظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا» . (المرجع السابق)

ذكر الحافظ في الفتح شارحاً للحديث المذكور وقال : «... وفي أبي داود من حديث أبي جرير «**إن رجلا ممن كان قبلكم لبس بردة فتبختر فيها ، فنظر الله إليه فمقته ، فأمر الأرض فأخذته**» الحديث .

وقوله : «مَن» يتناول الرجال والنساء في الوعيد المذكور على هذا الفعل المخصوص ، وقد فهمت ذلك أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأخرج النسائي والترمذي وصححه .. فقالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فكيف تصنع النساء بذيولهن ؟ فقال : يرخين شبرا ، فقالت : إذا تنكشف أقدامهن ؛ قال : فيرخينه ذراعاً ، لا يزدن عليه» لفظ الترمذي انتهى .

تنبيه : قلت : فإذا زاد على ما ذكر فيعد ذلك من البطر والكبر والرياء في حق النساء ، **وقد بلغنا أن بعض بنات المسلمين يلبسن الفساتين الغالية الراقية ليلة الزفاف** أو في غيرها من

الحفلات فيرخينها أكثر من مقدارها المعتاد **حتى إن بعض البنات يرفعن فستان العروس من وراءها ، وما ذلك إلا اقتداء ببنات النصارى واليهود إخوة القرود وأخواتها لعنهم الله :** ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ **فيأمر الله الأرض فتأخذها وتبلعها في هذه الحالة التي تتبختر فيها العروس** ، وقد قال تعالى : ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾ (الملك : ١٦) ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : أأمنتم عذاب من في السماء إن عصيتموه) .

وقال تعالى : ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ، أوَ أمِن أهل القرى أن يأتيهم بأسُنا ضحىً وهم يلعبون ، أفأمِنوا مكرَ الله فلا يأمَنُ مكرَ الله إلا القوم الخاسرون ، أوَ لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم وهم لا يسمعون﴾ (الأعراف : ٩٧ـ١٠٠) .

وقال رب العزة والجلال : ﴿واتبعوا أحسنَ ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتةً وأنتم لا تشعرون﴾ (الزمر : ٥٥) نعوذ بالله من ذلك .

قال بعضهم : هو ليس بإنسان الذي ينسى ربه في السراء ورغد العيش ، ولا هو الذي لا يخاف الله عند الغضب مهما كان فهيماً وزكياً ومستبصرا . انتهى .

وإليك قصة رجل ابتلعته أرض مزدلفة ـ وهو في استعداده للنوم ـ قبل بضعة أيام من كتابة هذه الأسطر في عام ١٤٢٣هـ وقد نشرتها جريدة عكاظ اليومية في يوم الأربعاء ١٤٢٣/١٢/١١هـ وهذا أقل أن يحدث ولكن فيها عبرة وعظة لمن أراد أن يعتبر فما أكثر العبر وما أقل الاعتبار ؟ فعلينا أن نتقي الله في أنفسنا وأن لا نخالف أمر الله ورسوله ﷺ مهما كان صغيرا أو كبيرا، وإليك نص الجريدة بلفظها :

في حادثة غامضة

مزدلفة تبتلع حاجاً باكستانياً

عبد الله الذبياني ، عباس سندي (مكة المكرمة) : في حادثة غريبة يصعب تصديقها ، ابتلعت أرض مزدلفة حاجاً باكستانياً كان يرقد بها استعدادا للنفرة إلى منى ، على مرأى من أخيه الأصغر الذي شاهد المنظر منذ بدايته ولم تفلح صرخاته العالية التي ذهبت أدراج الرياح في إنقاذ الموقف وقال الشقيق الأصغر الذي يعتبر شاهد العيان الوحيد : أنه وشقيقه الذي ابتلعته الأرض كانا يرقدان في مزدلفة برفقة أسرتهما بعد أن أعياهم التعب من مشقة الوقوف بعرفة .

وكان حجم الدهشة والمفاجأة كبيرا بالنسبة إليه على حد قوله حينما أحس بأن أخاه يُسحب شيئاً فشيئاً بفراشه الذي كان يرقد فوقه نحو باطن الأرض إلى أن اختفى عن الأنظار ، وكأن الأرض انشقت وابتلعته ، وعلى الفور هرعت إلى موقع الحادث ثلاث فرق من الدفاع المدني بقيادة قائد القوات المساندة العقيد/عبد الواحد الثبيتي ، حيث قامت بتمشيط كامل المنطقة التي كانت للموقع فيها الأسرة الباكستانية، وتطلب الأمر حفر ستة أمتار حول المنطقة التي أشار إليها شاهد العيان ليعثروا على الباكستاني «المفقود» متوفى في باطن الأرض وهو لا يزال مرتديا ثياب الإحرام .

المقدم علي السواط الذي يتولى التحقيق في حادثة وفاة الحاج قال : تلقت غرفة العمليات بالدفاع المدني في الساعة : ١٥'٣ فجر أمس بلاغاً عن اختفاء حاج داخل الأرض وعلى الفور هرعت فرقة الدفاع المدني وقامت بتمشيط الموقع ووجدت آثار حفرة

تـدل علـى أن هنـاك شيئاً غير طبيعي ، وبـدأت الفـرق في البحـث داخل الحفرة ووجدت جثـة الحـاج الباكستاني سيلاء عبدالتـواب «٣٠» عامــاً وتم اســتخراجها ونقلــها إلى المستشـــفى لاســـتكمال الإجـراءات وأضـاف : قـامت لجنـة مختصـة بمعاينـة الموقـع فيمـا لا تـزال اللجـان تواصـل التحقيـق في الحـادث لمعرفـة أسـباب هبـوط الأرض . وقـال : هذا الموقع بجوار دورات المياه يحتمل أن يكـون فيـها تسرب مياه بسبب استخدام الحجاج لدورات الميـاه مشيرا إلى أنـه لم تعـرف حتـى الآن الأسـباب الحقيقيـة وراء هبـوط الأرض وابتــلاع الحاج الباكستـاني . انتهى ما في الجريـدة.

وإليك صورة لما نشرته جريدة عكاظ الصادرة من جده بتاريخ ١٤٢٣/١٢/١١هـ

في حادثة غامضة

«مزدلفة» تبتلع حاجاً باكستانياً

عبدالله الذبياني، عباس سُندي
(مكة المكرمة)

في حادثة غريبة يصعب تصديقها، «ابتلعت» ارض مزدلفة حاجاً باكستانيا كان يرقد بها استعداداً للنفرة الى «منى» على مرأى من اخيه الاصغر الذي شاهد المنظر منذ بدايته ولم تفلح صرخاته العالية التي ذهبت ادراج الرياح في انقاذ الموقف.. وقال الشقيق الاصغر الذي يعتبر شاهد العيان الوحيد، انه وشقيقه الذي «ابتلعته» الارض كانا يرقدان في مزدلفة برفقة اسرتهما بعد ان اعياهم التعب من مشقة الوقوف بعرفة.

وكان حجم الدهشة والمفاجأة كبيراً بالنسبة اليه على حد قوله حينما احس بان اخاه يُسحب شيئاً فشيئاً بفراشه الذي كان يرقد فوقه نحو باطن الارض الى ان اختفى عن الانظار «وكأن الارض انشقت وابتلعته».

وعلى الفور هرعت الى موقع الحادث ثلاث فرق من الدفاع المدني بقيادة قائد القوات المساندة العقيد. عبدالواحد الثبيتي، حيث قامت بتمشيط كامل المنطقة التي كانت تتواجد فيها الاسرة الباكستانية.. وتطلب الأمر حفر ستة امتار حول المنطقة التي اشار اليها شاهد العيان ليعثروا على الباكستاني «المفقود» متوفى في باطن الارض وهو لايزال مرتديا ثياب الاحرام.

المقدم علي السواط الذي يتولى التحقيق في حادثة وفاة الحاج قال تلقت غرفة العمليات بالدفاع المدني في الساعة ٣,١٥ فجر امس بلاغاً عن اختفاء حاج داخل الارض وعلى الفور هرعت فرقة الدفاع المدني وقامت بتمشيط الموقع ووجدت آثار حفرة تدل على ان هناك شيئا غير طبيعي وبدأت الفرق في البحث داخل الحفرة ووجدت جثة الحاج الباكستاني سيلاء عبدالتواب «٣٠» عاماً وتم استخراجها ونقلها الى المستشفى لاستكمال الاجراءات.. واضاف: قامت لجنة مختصة بمعاينة الموقع فيما لاتزال اللجان تواصل التحقيق في الحادث لمعرفة اسباب هبوط الارض.

وقال: هذا الموقع بجوار دورات المياه يحتمل ان يكون فيها تسرب مياه بسبب استخدام الحجاج لدورات المياه مشيراً الى انه لم تعرف حتى الآن الاسباب الحقيقية وراء هبوط الارض وابتلاع الحاج الباكستاني.

هــــذا ، وذكـر الحـافظ في الفتـح عـن ابـن عمـر رضي الله عنهما قـال : «رخص رسول الله ﷺ لأمهات المؤمنين شبرا، ثم استزدنه فزادهـن شبرا ، فكن يرسلن إلينا فنذرع لهـن ذراعـاً» . وأفـادت هـذه الروايـة قدر الذراع المأذون فيه وأنه شبران بشبر اليد المعتدلة ..

والحـاصل أن للرجــال حــالين : حـال اسـتحباب ، وهـو أن يقتصر بالإزار على نصف السـاق ، وحـال جواز وهـو إلى الكعبـين ،

وكذلك للنساء حالان : حال استحباب وهو ما يزيد على ما هو جائز للرجال بقدر الشبر ، وحال جواز بقدر ذراع .

ويؤيد هذا التفصيل في حق النساء ما أخرجه الطبراني في الأوسط ..عن أنس رضي الله عنه « أن النبي ﷺ شبّر لفاطمة من عقبها شبرا وقال : هذا ذيل المرأة» وأخرجه أبو يعلى بلفظ : «شبر من ذيلها شبرا أو شبرين وقال : لا تزدن على هذا» .

ويستنبط من سياق الأحاديث أن .. البطر والتبختر مذموم ولو لمن شمر ثوبه ، والذي يجتمع من الأدلة أن من قصد بالملبوس الحسن إظهار نعمة الله عليه مستحضرا لها شاكرا عليها غير محتقر لمن ليس له مثله لا يضره ما لبس من المباحات ، ولو كان في غاية النفاسة ، ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ قال : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، فقال: «إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس» ومعنى الغمط : الإحتقار ، وأما ما أخرجه الطبري من حديث علي رضي الله عنه «إن الرجل يعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك صاحبه» فيدخل في قوله تعالى : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا﴾ الآية .. ٨٣ سورة القصص .

وأخرج النسائي وأبو داود وصححه ابن حبان والحاكم من حديث أبي الأحوص عوف بن مالك الجشمي عن أبيه رضي الله عنه «أن النبي ﷺ قال له ورآه رث الثياب : «إذا آتاك الله مالا فلير أثره عليك» . أي بأن يلبس ثيابا تليق بحاله من النفاسة والنظافة ليعرفه المحتاجون للطلب منه ، مع مراعاة القصد وترك الإسراف جمعا بين الأدلة . انتهى ما في الفتح .

وعن قتادة رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ، ما لم يخالطه إسراف ولا مخيلة».

(ابن ماجة ـ لباس ـ باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة ١١٩٢/٢ح ٣٦٠٥).

وعـن ضمـرة بـن ثعلبـة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قـال : «إنــه أتــى النــبي ﷺ (وعليـه) حلتـان مـن حلـل اليمـن فقـال: يـا ضمـرة أتـرى ثوبيــك هذيـن مدخليـك الجنـة؟ فقـال : يـا رسـول الله لئـن اسـتغفرتَ لي لا أقعـد حتـى أنزعـهما عـني فقـال النـبي ﷺ : اللـهم اغفـر لضمـرة فانطلق سريعاً حتى نزعهما عنه» (مجمع الزوائد ـ لباس ـ ٥/١٣٦).

عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ لحقنـا عمـرو بـن زرارة الأنصاري في حـلة : إزار ورداء قـد أسـبل فجعـل رسول الله ﷺ يـأخذ بناحيـة ثوبـه ويتواضع لله ويقـول : «اللهم عبدك وابن عبدك وابن أمَتك» حتى سمعها عمرو بـن زرارة فـالتفت إلى النـبي ﷺ فقـال : يـا رسـول الله إنـي حمـش السـاقين، فقال ﷺ : «يا عمرو بن زرارة ! إن الله أحسن كـل شـيء خلقـه ، يـا عمـرو بـن زرارة ! إن الله لا يحب المسبل» ثـم قـال رسـول الله ﷺ بكفه تحت ركبـة رجلـه فقـال: «يـا عمـرو بـن زرارة ! هـذا موضع الإزار» ثم رفعهـا ثم وضعهـا تحـت ذلـك وقـال : «يـا عمـرو هـذا موضع الإزار» . (مجمع الزوائد ـ لباس ـ باب الإزار ٥/١٢٤).

وعـن زيـد بـن أسـلم قـال : سمعـت ابـن عمـر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يقـول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من جر إزاره من الخيلاء لـم ينظـر الله عز وجل إليه يوم القيامـة» ، قـال زيـد : وكـان ابـن عمـر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يحدث أن النبي ﷺ رآه وعليـه إزار يتقعقـع يعـني جديـدا ، فقـال: «من هذا ؟» فقلت : أنـا عبـد الله ، فقـال : «إن كنـت عبـد الله فـارفع إزارك» قال : فرفعته ، قـال : زد ، قـال : فرفعتـه حتـى بلـغ نصـف الساق ، قـال : ثـم التفـت إلى أبـي بكـر فقال : «مـن جـر ثوبـه مـن الخيـــلاء لم ينظـر الله إليـه يـوم القيامـة» فقـال أبـو بكـر : إنــه يسترخي إزاري أحيانا، فقال النبي ﷺ لستَ منهم» .

(مسند أحمد ـ رقم : ٦٠٥٦) .

حكاية عجيبة

وبمناسبة قوله « اللهم عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، أو قوله : «عبد الله ، أو عبد» أذكر فيه حكاية وذلك عبرة لمن اعتبر وهي :

حكي أن بشرا (الحافي) - رحمه الله - كان في زمن لهوه في داره ، وعنده رفقاؤه يشربون ويطيبون - أي وكانوا مشغولون في اللغو واللهو والطرب - فاجتاز بهم رجل من الصالحين فدقّ الباب، فخرجت إليه جارية ، فقال : صاحب هذا الدار حُر أو عبد ؟ فقالت : بل حر ! فقال : صدقت ، لو كان عبدا لاستعمل أدب العبودية ، وترك اللهو والطرب .

فسمع بشر محاورتهما ، فسارع إلى الباب حافياً حاسرا وقد ولى الرجل . فقال للجارية : ويحك ! من كلّمك على الباب ؟ فأخبرته بما جرى . فقال: أي ناحية أخذ الرجل ؟ فقالت : كذا ، فتبعه بشر حتى لحقه .

فقال له : يا سيدي أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية ؟ قال : نعم ، قال : أعد عليّ الكلام ! فأعاده عليه . فمرغ بشر خديه على الأرض وقال : بل عبد ! بل عبد ! بل عبد ! (ابن عبده وابن أمَته) ثم هام على وجهه حافياً حاسرا حتى عرف بالحيفاء . فقيل : لمَ لا تلبس نعلا ؟ قال : لأني ما صالحني مولاي إلا وأنا حاف.فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات . انتهى .

(ذكره ابن قدامة رحمه الله في كتاب التوابين ص ٢١٠ — ٢١١) .

الدعاء في الثوب الجديد وغيره

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا استجدّ ثوباً سماه باسمه ، قميصاً كان أو إزارا ، أو عمامة ، ثم يقول :

«اللهم لك الحمد كما كسوتني هذا ، أسألك من خيره ، وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له ». قال أبو نضرة : وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا رأى أحد على صاحبه ثوباً قال : تبلِي ويُخلِفُ الله» .(أبو داود : ٤٠٢٠ ، الترمذي : ١٧٦٧) .

وعند ابن حبان من حديث أنس رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوباً ـ أي لبس ثوباً جديداً ـ لبس يوم الجمعة» (مرقاة : ٢٥٢/٨) .

قال في المرقاة ٢٥٣/٨ : قوله ﷺ : «خير ما صنع له» من الشكر بالجوارح والقلب ، والحمد لموليه باللسان اهـ (فهل نجد هذا الشكر عند لبس الثياب فاستفت قلبك يا عبدالله وأمة الله !؟) .

وقوله ﷺ : « من شره وشره ما صنع له» أي من الكفران ، والمعنى : أسألك ما يترتب على خلقه من الخير وهو العبادة به ، وصرفه فيما فيه رضاك ، وأعوذ بك من شر ما يترتب عليه مما لا ترضى به من الكبر والخيلاء (والرياء) وكوني أعاقب به لحرمته .

وقال ميرك رحمه الله : خير الثوب بقاؤه ونقاؤه ، وكونه ملبوساً للضرورة والحاجة ، وخير ما صنع له : هو الضرورات التي من أجلها يصنع اللباس من الحر والبر وستر العورة .

والمراد سؤال الخير في هذه الأمور : (هو) أن يكون مبلغاً إلى المطلوب الذي صنع لأجله الثوب من العون على العبادة والطاعة لوليه ، وفي الشر عكس هذه المذكورات وهو كونه حراماً ونجساً ولا يبقى زماناً طويلاً ، أو يكون سبباً للمعاصي والشرور والإفتخار والعجب والغرور وعدم القناعة بثوب الدون وأمثال ذلك . انتهى ما في المرقاة شرح المشكاة .

وعن معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : «من أكل طعاماً ثم قال : «الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام و رزقنيه من غير حول مني ولا قوة» غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه الترمذي .
وزاد أبو داود :

«ومن لبس ثوباً فقال : «الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة» غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » (مشكاة ـ كتاب اللباس) .

وفي المرقاة : ٢٥٣/٨ : وأخرج الحاكم في المستدرك من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : قال رسول الله ﷺ : «ما اشترى عبد ثوب بدينار فحمد الله عليه إلا لم يبلغ ركبتيه حتى يغفر الله له» . قال الحاكم : هذا الحديث لا أعلم في إسناده أحدا ذكر يجرح .

وفي الجامع الصغير بلفظ : «إن من أمتي من يأتي السوق فيبتاع القميص بنصف أو ثلث دينار فيحمد الله تعالى إذا لبسه فلا يبلغ ركبتيه حتى يغفر له» (رواه الطبراني عن ابي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ). انتهى ما في المرقاة .

خروج المرأة في زينتها

عن ميمونة بنت سعد وكانت خادما للنبي ﷺ قالت: «قال رسول الله ﷺ مثل الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها» (ترمذي ـ رضاع ـ باب كراهية خروج النساء في الزينة ٤٦١/٣ح ١١٦٧).

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : «بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذا دخلت امرأة مزينة ترفل في زينة لها في المسجد فقال النبي ﷺ : «يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد ، فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترن في المسجد».(ابن ماجة ـ فتن ـ باب فتنة النساء ١٣٢٦/٢ح ٤٠٠١).

وهناك وعيد لمن تخرج من بيتها متطيبة فيشم الناس ريحها .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «لقيته امرأة وجد منها ريح الطيب ينفح ولذيلها إعصار ، فقال : يا أمة الجبار جئت إلى المسجد ، قالت : نعم ، قال : وله تطيبت ، قالت : نعم ، قال : إني سمعت حبّي أبا القاسم ﷺ يقول : «لا تقبل صلاة امرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة».

(أبو داود ـ باب ما جاء في المرأة تتطيب للخروج ٧٩/٤ح ٤١٧٤).

وعَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ مَوْلَى أبي رُهْمٍ (وَ اسْمُهُ عُبَيد) ، أنَّ أبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه لَقِيَ امْرَأَةً متطَيِّبَةً ، تريدُ الْمَسْجِدَ . فقَالَ : يَا أمَةَ الْجَبَّارِ : أيْنَ تريدينَ ؟ قَالَتِ : الْمَسْجِدَ . قَالَ : وَلَهُ تطَيبتِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فإنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «أيمَا امرَأةٍ تطيَّبَت ، ثُمَّ خَرَجَت إلَى الْمَسْجِدِ ، لَمْ تقبَلْ لَهَا صَلاةٌ ، حَتَى تغتسِلَ» . (ابن ماجة ـ فتن ـ باب فتنة النساء ١٣٢٦/٢ح ٤٠٠٢).

طيب الرجال وطيب النساء

عن أبي موسى رضي الله عنه : أيُّما إمرأةٍ استعطرتْ ثمَّ خرجَتْ فيوجَدُ ريحُهَا فهي زانيةٌ وكلُّ عينٍ زانٍ ». (درامي ـ استئذان ـ باب في النهي عن الطيب إذا خرجت ٢٧٩/٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه» . (ترمذي ـ آداب ـ ١٠٧/٥ح ٢٧٨٧)

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «ثلاثة لا تقربهم الملائكة (الرحمة) : جيفة الكافر ، والمتضمخ بالخلوق ، والجنب إلا أن يتوضأ» (أبو داود ـ ترجل ـ ٨٠/٤ح ٤١٨٠).

لا تتشبه المرأة بالرجل في ملبسه ومشيته

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال». (بخاري - لباس - باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال ٤/٢٨).

قيل لعائشة رضي الله عنها : إن امرأة تلبس النعل (أي التي يختص بالرجال فما حكمها ؟) فقالت : « لعن رسول الله ﷺ الرَجُلَة من النساء» . (ابو داود - كتاب لباس - باب لباس النساء ٤/٦٠،٦١ح ٤٠٩٩).

وفي عون المعبود : ١٥٦/١١ : قال في النهاية : إنه لعن المترجلات من النساء يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في زيهم وهيأتهم فأما في العلم والرأي فمحمود .. قال السندي : الرجلة تأنيث الرجل أي المتشبهة . انتهى.

الزهـد في الحلية والحرير

عن عُقبَة بنَ عَامِرٍ رضي الله عنه يُخبرُ : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمنَع أهلَه الحِليَة وَالحَرِيرَ وَيقولُ : «إنْ كُنتُمْ تحِبُّونَ حِليَةَ الجَنَّةِ وَحَرِيرَهَا فلاَ تلْبَسُوهَا فِي الدُّنيَا». (نسائي - زينة - باب الكراهية للنساء في إظهار الحلي والذهب ١٥٦/٨)

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : «لبست قلادة فيها شعيرات من ذهب قالت : فرآها رسول الله ﷺ فأعرض عني فقال : «ما يؤمنك أن يقلدك الله مكانها يوم القيامة شعيرات من النار ؟ قالت : فنزعتها» . (مجمع الزوائد - لباس - باب إستعمال الذهب ١٤٨/٥حديث أم سلمة رضي الله عنها : حسن بالشواهد والمتابعة : رواه أحمد ٣٢٢/٦ والطبراني في الكبير ٤٠٣،٢٨١/٢٣ ح ٩٦٧،٦١٠).

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال : ذكَرَ أصحَابُ رَسُولِ الله ﷺ يَوْماً عِندَهُ الدُّنْيَا، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ : «ألاَ تسمَعُونَ ، ألاَ تسمَعُونَ : إن البذاذة من الإيمان ، إن البذاذة من الإيمان يَعني التقَحلَ » . (أبو داود ـ ترجل ـ ٧٥/٤، ٧٦ح ٤١٦١) .

ذكر الحافظ في الفتح في باب الترجل والتيمن حيث قال : «... وقد روى أبو أمامة بن ثعلبة رفعه : « البذاذة من الإيمان، وهو حديث صحيح أخرجه أبو داود » .

والبذاذة : رثاثة الهيئة ، والمراد بها هنا ترك الترفه والتنطع في اللباس والتواضع فيه مع القدرة لا بسبب جحد نعمة الله تعالى ، وأخرج النسائي من طريق عبد الله بن بريدة «أن رجلا من الصحابة يقال له عبيد قال : كان رسول الله ﷺ ينهى عن كثير من الإرفاه» قال ابن بريدة : الإرفاه : (هو) الترجل ، قلت: الإرفاه : التنعم والراحة ، ومنه الرفه ، وقيده في الحديث بالكثير : إشارة إلى أن الوسط المعتدل منه لا يذم ، وبذلك يجمع بين الأخبار. انتهى ما ذكره الحافظ في الفتح .

وفي المرقاة ٢٥٤/٨ لملا علي القاري رحمه الله : والمراد من الحديث أن التواضع في اللباس والتوقي عن الفائق في الزينة من أخلاق أهل الإيمان ، والإيمان هو الباعث عليه . وقوله : «إن البذاذة من الإيمان» كرره للتأكيد ، ففيه اختيار الفقر والكسر ، فلبس الخلق من الثياب من خلق أهل الإيمان بالكتاب . انتهى .

من ينهى النساء عن الحرير تزهدا ؟

عَنْ خَلِيفَةَ بْنِ كَعبِ أبي ذبيَانَ قَالَ : سَمِعتُ عَبدَ اللهِ بنَ الزبَير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَخطبُ يقُولُ : ألا لا تلبسُوا نِسَاءكُمُ الحَرِيرَ . فإني سَمِعتُ عُمَرَ بنَ الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لا تلبَسُوا الحَرِيرَ . فإنهُ مَن لَبسَه فِي الدُّنيَا ، لَم يَلبَسهُ فِي الآخِرَةِ» .

(مسلم ـ لباس ـ باب تحريم الإستعمال إناء الذهب والفضة ١٦٤١/٣ح ١١).

وعَنْ أبي عُثمَانَ ، قَالَ : كَتَبَ إليْنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَنَحْنُ بأذرَبيجَانَ : يَا عُتبَةَ بْنَ فرقَدٍ إنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدكَ (أي تعبك يعني كسبك) وَلاَ مِنْ كَدِّ أبيكَ وَلاَ مِنْ كَد أمكَ . فأشْبِعِ المُسلِمِينَ فِي رِحَالِهِم ، مِمَّا تَشبَعُ مِنه فِي رَحلِكَ ، وَإيَّاكُم وَالتنعمَ ، وَزِيَّ أهلِ الشِّركِ ، وَلَبُوسَ الحَرِيرَ فَإنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَن لَبُوسِ الحَرِيرِ . قَالَ : إلاَّ هكَذا . وَرفَعَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إصبَعَيْهِ الوُسطى وَالسَّبَّابَة وَضَمَّهمَا . (مسلم ـ باب تحريم استعمال أناء الذهب والفضة للرجال والنساء ـ ٣٧/٤١ رقم ٥٣٦٦) .

وقد أخرج أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان والحاكم من حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «أن النبي ﷺ أخذ حريرا وذهبا فقال : هذان حرامان على ذكور أمتي حل لإناثهم » .

قال الحافظ في الفتح : قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : إن قلنا : إن تخصيص النهي للرجال لحكمة ، فالذي يظهر أنه سبحانه وتعالى علم قلة صبرهن عن التزين فلطف بهن في إباحته ، ولأن تزيينهن غالبا إنما هو للأزواج ، وقد ورد أن «حسن التبعل من الإيمان قال : ويستنبط من هذا أن الفحل لا يصلح له أن يبالغ في استعمال الملذوذات لكون ذلك من صفات الإناث . انتهى .

تنبيه هام للنساء والرجال : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ ، قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَامِلاً بِمِصْرَ فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَإِذَا هُوَ شَعِثُ الرَّأْسِ مُشْعَانٌ قَالَ : مَا لِي أَرَاكَ مُشْعَانًا وَأَنْتَ أَمِيرٌ ؟ قَالَ : كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَنْهَانَا عَنِ الإِرْفَاهِ ، قُلْنَا : وَمَا الإِرْفَاه ؟ قَالَ : التَّرَجُّلُ كُلَّ يَوْمٍ» . (نسائي ٨/١٣٢) .

للأسف ! أن التجمل والترجل وتغيير اللباس والنظر في المرآة عند بعض الرجال والنساء يكون بعد كل ساعة أو أقل ، وكأنه ليس لهم هم في الدنيا إلا هذا ، فيا أسفى على هؤلاء الرجال والنساء : يجدون الساعات الطويلة لتزيين أجسادهم وتجميلها أمام المرايات الطويلة ولكن لا يجدون فرصة للصلاة ولا لتعلم الدين الحنيف : ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ (الروم : ٧) نعوذ بالله من ذلك .

وهذا رسول الله ﷺ يقول لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «يا عائشة ! إن أردت اللحوق بي ، فليكفك من الدنيا كزاد الراكب ، وإياك ومجالسة الأغنياء ، ولا تستخلقي ثوباً - أي لا تعديه خلقا - حتى ترقعيه» (ترمذي - كتاب اللباس - ٤/٢٤٥ح ١٧٨١).

قال في المرقاة ٨/٢٥٤ : قوله ﷺ : «حتى ترقعيه» أي تخيطي عليه رقعة ثم تلبسيه مرة ، وفيه تحريض لها على القناعة باليسير ، والإكتفاء بالثوب الحقير ، والتشبه بالمسكين والفقير .

في شرح السنة قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأيت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع ثوبه برقاع ثلاث لبد بعضها فوق بعض . وقيل : خطب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو خليفة وعليه إزار فيه اثنى عشر رقعة .

وروى ابن عساكر عن أبي أيوب أنه ﷺ كان يركب الحمار، ويخصف النعل ، ويرقع القميص، ويلبس الصوف ويقول : «من رغب عن سنتي فليس مني» انتهى ما في المرقاة .

وفي الحديث : قال رسول الله ﷺ : «من ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه - أي والحال أنه يقدر على لبس ذلك الثوب وإنما تركه خوفاً لله تعالى ، أو رجاء لما عنده من المقام الأعلى ، أو استحقارا لزينة الدنيا «وفي رواية : تواضعاً ، كساه الله حلة الكرامة» - أي أكرمه الله وألبسه من ثياب الجنة - «ومن تزوج لله توجه الله تاج الملك» رواه أبو داود كما في المشكاة كتاب اللباس .

قوله ﷺ : «من تزوج لله» أي بأن ينزل عن درجته فيتزوج من هي أدنى مرتبة منه كيتيمة حقيرة ، أو مسكينة فقيرة ، أو معتوقة صالحة ابتغاء لمرضاة ربه ، أو أراد بالتزوج صيانة دينه وحفظ نسله الذي هو مقتضى حكمة ربه ، توّجه الله تاج الملك وهو كناية عن إجلاله وتوقيره ، أو أعطي تاجاً ومملكة في الجنة . ونحوه قوله ﷺ : «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا ، فما ظنكم بالذي عمل به» رواه أبو داود عن سهل بن معاذ رضي الله عنه (مرقاة شرح المشكاة : ٨/٢٥٦) .

تزيين الحوائط

عن عائشة رضي الله عنها قالت : «دخلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ وفي البيت قِرام فيه صُوَر ، فتلوَّنَ وجهه ، ثم تناولَ السِّتر فهتكَه . وقالت : قال النبي ﷺ : من أشد الناس عذاباً يومَ القيامة الذين يُصوِّرون هذهِ الصُّوَر». (بخاري - باب البر والصلة - رقم : ٥٩٦٧).

القِرامُ : ثوب من صوف ملوّن فيه ألوان من العِهن ، وهو صفيق يتخذ سِترا ، وقيل : هو الستر الرقيق ، والمِقرمة (هو) مَحبِس الفِراش . (لسان العرب : باب القاف) .

وفي عون المعبود : القِرامُ : هو ثوب رقيق من صوف فيه ألوان من العهون ورقوم ونقوش يتخذ سترا يغشى به الأقمشة والهوادج ، كذا في المرقاة. انتهى .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ . فَلَمَّا رَآهُ هتكَهُ وَتلَوَّنَ وَجهُهُ وَقَالَ : «يَا عَائِشَةَ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِندَ اللهِ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلقِ اللهِ» . قَالَتْ عَائِشَةَ : فَقَطَعنَاه فَجَعَلنَا مِنه وِسَادَةً أو وِسَادَتَيْنِ». (مسلم - ١٤/٧٢ رقم ٥٤٨٣ - باب تحريم أواني الذهب والفضة .. الخ).

وعنْ أبي طلحَة الأنصاري رضي الله عنه قالَ سَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ يَقولُ : لاَ تَدْخلُ المَلاَئِكَة بَيتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ تِمثَالٌ وَقَالَ : انطلِق بنَا إلى أمِّ المُؤمِنِينَ عَائِشَة نسألها عَنْ ذلِكَ ، فانطلَقنَا فقلنَا : يَا أمَّ المُؤمِنِينَ إنَّ أبَا طَلحَة حَدّثنا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ بكَذَا وَكَذَا ، فَهَلْ سَمِعتِ النَّبيَّ ﷺ يَذكُرُ ذلِكَ ؟ قالت : لاَ، وَلكِن سَأحَدّثكم بِمَا رَأيتُه فعَلَ : خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ في بَعضِ مَغَازِيهِ وَكُنتُ أتحَيَّنُ قفُولَهُ ، فَأخَذتُ نَمَطاً كَانَ لنَا فَسَتَرتهُ عَلَى العَرضِ فَلَمَّا جَاء

استقبلتهُ فقُلتُ السَّلام عَلَيكَ يَا رَسُولَ الله وَرحمَة الله وَبَرَكَاتـه الحَمْدُ لله الَّذِي أعـزك وَأكرمَكَ ، فنظـرَ إلَى البَيـتِ فرأى النمَـطَ فلَمْ يَرُدَّ عَليَّ شَيئاً وَرَأيتُ الكَرَاهِيَـة فِي وَجهِهِ ، فأتى النمَطَ حَتى هتكَهُ ثـمَّ قـالَ : إنَّ الله لـمْ يأمُرنـا فِيمَا رَزَقنَـا أنْ نَكسُوَ الحِجَـارَةَ وَاللَّبِنَ . قالت : فقَطعتهُ ، وَجعَلتهُ وسَادَتيْنِ وَحَشوتهُمَا لِيفـاً ، فلَم يُنكِرْ ذلِكَ عَلَيَّ» . (أبو داود ـ لباس ـ٤/٧٣ح ٤١٥٣).

وعن أنـسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال : «كـان قِـرامٌ لعائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَتَرَت بـه جانبَ بَيتهـا ، فقال النبيُّ ﷺ : «أمِيطي عنا قِرامَكِ هـذا ، فإنه لا تزالُ تصاويرُه تعرِضُ في صَلاتي» . (بخاري ـ رقم ٣٧٢) .

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : كَانَ لنَا قِرَام فِيهِ تمَاثِيلُ ، فعُلقَت عَلَى بَابِي ، فرأى النبـي ، ذلِكَ ، فقَـالَ : « انزِعِيـهِ ، فإنـه يُذكـرُنِي الدنيا» . (صحيح ابن حبان ـ ذكر الأمر بترك الأشياء من الفضول ـ رقم : ٦٥٠) .

قال أبو طلحة : لـم يرض النبي ﷺ أن يعرض له في صلاتـه شيء يشغله عن ذكر الله سبحانه ، ولم يكن ذلـك خاصاً بـالصلاة ، بل لم يكن يستأنس بأي شيء يشغله عن ذكـر الله ، وكان لا يرضى بذلك في خارج الصلاة أيضاً كما في رواية ابن حبـان ـ المذكور آنفاً ـ قوله ﷺ : « انزِعِيهِ فإنهُ يذكّرنِي الدنيا» .

وعـن أبـي هُرَيـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـالَ قـالَ رَسُـولُ الله ﷺ : «أتـانِي جبْرَائِيلُ فقالَ لِي : أتيتكَ البَارِحَة فلَمْ يَمنعنِي أنْ أكُونَ دَخلتُ إلا أنهُ كانَ عَلَى البَـابِ تمَـاثِيلُ وَكَانَ فِي البَيْـتِ قِـرَامُ سِـترٍ فِيـهِ تمَـاثِيلُ وَكَانَ فِي البَيْـتِ كَلـبٌ ، فمُـرْ بِـرَأسِ التمثـالِ الَّـذِي فِي البَيْـتِ يُقطَـعُ فيَصِيرُ كَهَيئَـةِ الشَّجَرَةِ وَمُر بالسِّترِ فليقطَع فليُجعَلْ منـهُ وسَـادَتينِ مَنبُوذَتينِ توطآنِ ومُرْ بالكلبِ فليَخرُج ، ففَعَـلَ رَسُولُ الله ﷺ وَإذَا الكَلبُ لِحَسَنٍ أوْ حُسَيْنٍ كـانَ تحـتَ نَضَـدٍ لَـهُمْ فـأمَرَ بِـهِ فأخـرِجَ» .

قَـــالَ أَبُو دَاوُدَ : وَالنضَدُ شَيءٌ توضَـعُ عَلَيْـهِ الثيَـابُ شِبـهُ السَّرَايرِ.
(أبو داود ـ باب ـ رقم : ٤١٥٨) .

وعن سَعِيدِ بنِ جُمْهَانَ عـن سَفِينَة أبِـي عَبْـدِ الرَّحْمـنِ : «أنَّ رَجُلاً أضَـافَ عَلَـيَّ بْـنَ أبـي طَـالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فصَنَـعَ لَـهُ طعَامـاً ، فقـالَتْ فاطِمَــةُ : لَـوْ دَعَــوْنَا رَسُولَ الله ﷺ فـأكَلَ مَعَــنَا ، فدَعَـوهُ فجَـاءَ فوَضَعَ يَدَهُ عَلَى عِضَـادَتي الْبَـابِ (أي الخشبتان المنصوبتـان) فـرَأى الْقِــرَامَ قَـدْ ضُـرِبَ بِـهِ في نَاحِيَـةِ الْبَيْـتِ فرَجَـعَ ، فقــالَتْ فاطِمَـةُ لِعَـلِيٍّ : الْحَقـــهُ فأنْظر مَا رَجَعَــهُ فتبعتــهُ فَــقُـلتُ : يَارَسُـــولَ الله مَا رَدَّكَ ؟ فقال : «إنَّهُ لَيْسَ لِي أوْ لِنَبِيٍّ أنْ يَـــدْخُلَ بَيتاً مُـــــزَوَّقاً» .
(أبو داود ـ باب الرجل يدعى فيرى مكروهاً ـ رقم : ٣٧٥٥) .

قال صاحب عون المعبود ٢٢٥/١٠ : قولـه : «بيتـاً مزوّقـاً» : أي مزيناً بالنقوش . وأصل التزويق التمويه .

قال الخطـابي : وتبعـه ابـن الملـك : كـان ذلـك مزينـاً منقشاً. وقيل لم يكن منقشـاً ، ولكـن ضـرب مثـل حجلـة العـروس ستر بـه الجدار، وهو رعونـة يشبه أفعال الجبابرة ، وفيه تصريـح بأنــه لا يجاب دعوة فيها منكر، كذا في المرقاة.

وقال الحافظ في الفتح : ويفهم من الحديـث أن وجـود المنكـر في البيت مانع عن الدخول فيه .

قال ابن بطـال : فيـه أنـه لا يجوز الدخـول في الدعـوة يكـون فيـها منكـر ممـا نـهى الله ورسـوله ﷺ عنـه لما في ذلـك مـن إظـهار الرضى بها، (أين نحن من هذا أيها المسلمون ؟!؟) انتهى .

لمن أراد أن يدخل ملائكة الرحمة في بيته

فمن أراد من المسلمين والمسلمات أن تدخل ملائكة الرحمة في بيته فعليه اجتناب وضع الصور والتماثيل في البيوت أو المكاتب أوالمجالس فقد قال النبي ﷺ : « لا تدخلُ المَلائِكَة بَيتاً فِيهِ كَلبٌ وَلاَ تِمثَالٌ» وقد تقدم .

وفي حديث عن بنانة مولاة عبدالرحمن بن حبان الأنصاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : « بينما هي عندها إذ دُخل عليها بجارية وعليها جلاجل يصوتن ، فقالت : لا تدخلنها عليّ إلا أن تقطعوا جلاجلها وقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه أجراس» . (أبو داود ـ خاتم ـ باب ما جاء في الجلاجل ٩١/٤، ٩٢ ح ٤٢٣١) .

وفي رواية لأبي داود رقم : ٤٢٣٠ قال النبي ﷺ : «.. إن مع كل جرس شيطان» .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أشد الناس عذاباً عند الله المصورون» متفق عليه .

وقد بوب البخاري في صحيحه «باب من لم يدخل الكعبة» رقم الحديث ١٥٨١ : وروى عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : اعتمر رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين ومعه من يستره من الناس فقال له رجل : أدخل رسول الله ﷺ الكعبة ؟ قال : لا» . (أي لم يدخل في هذه العمرة) قاله القسطلاني .

وذكر الحافظ في الفتح وقال : قال النووي : قال العلماء سبب ترك دخوله ما كان في البيت من الأصنام والصور، ولم يكن المشركون يتركونه ليغيرها ، فلما كان في الفتح أمر بإزالة الصور ثم دخلها (أي الكعبة) انتهى .

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه زمن الفتح وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها ، فلم يدخلها النبي ﷺ حتى محيت كل صورة فيها» .

(أبو داود - لباس - باب في الصور ٤/٧٤/ح ٤١٥٧) .

وروى أحمد في مسنده عن جابر رضي الله عنه قال : كان في الكعبة صور فأمر النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يمحوها فبلّ عمر ثوبا فمحاها به فدخلها وما فيه شيء .

ويؤيد الحديث المذكور ما أخرجه أبو داود الطيالسي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : دخلت على رسول الله ﷺ في الكعبة ورأى صورا قال : فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل يمحوها ويقول : «قاتل الله قوماً يصوّرون ما لا يخلقون».

(ذكره القرطبي رحمه الله في تفسيره : ٧٩/٢) .

قوله «فبلّ عمر ثوبا فمحاها به» وقوله : «فجعل يمحوها (أي بماء)» : قال أبو طلحة : فيه إشارة إلى أن الصور كانت مصورة برسم اليد على الجدران وهي غير صور الأصنام الآلهة المصنوعة من الأحجار ، فثبت أن كليهما معصية ، ومانعة من دخول ملائكة الرحمة حيث كانت من البيوت أو المكاتب والمجالس .

وقد ثبت أيضا أن سيد الرسل ﷺ لم يدخل البيت ولم يصل داخل الكعبة حتى أزال الصور ، فأين نحن من هذا أيها المصلون ؟ وبيوتنا مملوءة من التصاوير الحديثة والخبيثة مثل بيوت اليهود والنصارى - إلا من يوفقه الله تعالى للتأسي بنبيه ﷺ وهو قليل وقليل جدا - حتى نرى في بعض بيوت المسلمين تصاوير النساء الخليعة المعلقة على الجدران بمختلف الألوان وهن اللواتي يمثلن في الأفلام ويرقصن أمام الخاص والعام الذين هم مثلهن في عدم المبالاة بشئون الإيمان وصدق الله العظيم : ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ﴾ (النور : ٢٦) .

ويبذر الناس في شراء المجلات الملونة والمزينة بتصاوير بنات المسلمين كاسيات عاريات في الدول المسلمة - أليس كذلك ؟ - وهذا الوباء والمرض نجده بالخصوص في شباب أوطاننا من البنات والبنين والمتعلمين الذين سيكونون قادة أوطاننا في المستقبل - اللهم احفظنا من شرور أنفسنا وأنفسهم - وهكذا نرى في بعض بيوت المسلمين التماثيل المصنوعة من الأحجار وغير ها ، فالناس يزينون بها غرفهم ومحلاتهم ومجالسهم ويفتخرون باقتنائها كأنهم لا يخافون العذاب في الدنيا والآخرة أخبر عنه ﷺ قائلا : «أشد الناس عذابا عند الله المصوِّرون» وقد تقدم .

وكأن هؤلاء مستغنون عن دخول ملائكة الرحمة إلى بيوتهم ومحلاتهم ومجالسهم ، قال تعالى : ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴾ . (المجادلة : ١٩) .

وقال تعالى : ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ (الروم : ٧) .

ولم يكتف عدونا المبين اليهود والنصارى - ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ (المائدة :٨٢) بوضعهم الصور في البيوت ، بل جعلوا الصور على كل شئ يستعمل في البيوت مثل الأواني والكراسي والمخدات والستائر والمفروشات الناعمة والسجادات والبطانيات الصغار منها والكبار وغير ذلك من النعال واللباس ، نزين به أطفالنا وأنفسنا فاقتدينا بهم في ذلك كله ، واستعملنا الأشياء التي فيها مشابهة لليهود والنصارى ، فأغلقنا أبواب الرحمة بعدم دخول ملائكة الرحمة إلى بيوتنا بهذا السبب الشنيع ، ثم نصلي في هذه الغرف والمحلات - وذلك لمن يوفقه الله - فندعوا الرحمن بدعاء عريض طويل فأنى يستجاب لنا ؟

فنسينا ما ذُكّرنا ، وتركنا ما أمرنا به المصطفى ﷺ أن نتمسك به ونعض عليه بالنواجذ ، وفقدنا ما حصلنا من ميراث آبائنا ، وتفرقنا بعد أن اعتصمنا بحبل الله المتين ، ونقضنا ما عاهدنا عليه في الأيام السالفة ، وضيعنا فضلنا وكياننا الذي شهدت به أعداؤنا من قبل (والفضل ما شهدت به الأعداء) .

فمن لي بمثل تلك الأيام الماضية ، فتكون لنا عيشة راضية في الدنيا وفي الجنة العالية ، والبعد عن الأم الهاوية ؟؟!

وأخيرا أوصيكم ونفسي وأقول كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ البقرة : ٢٠٨ ، ولا تتسوفوا فتهلكوا . اللهم اهدنا الصراط المستقيم .

قوله : «لم يدخل البيت ولم يصل داخل الكعبة حتى أزال الصور» وقد تقدم . قال أبو طلحة : وهكذا لم يدخل رسول الله ﷺ في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها كما في الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها وفيه :

«.. أنها اشترت نمرُقةً فيها تصاوير ، فلما رآها رسولُ اللّه ﷺ قامَ على البابِ فلم يَدخلْ ، (بيتي) فعرَفتْ في وجههِ الكراهيةَ قالت : يا رسولَ الله ،أتوبُ إلى الله وإلى رسوله (ﷺ)، ماذا أذنبتُ ؟ قال : ما بالُ هذهِ النمرقةِ ؟ فقالت : اشتريتها لتعقُدَ عليها وتوَسَّدَها . فقال رسولُ الله ﷺ : إنَّ أصحابَ هذهِ الصُوَر يعذّبون يومَ القيامة ويقال لهم : أحيوا ما خلَقتم . وقال : إنَّ البيتَ الذي فيه الصوَر لا تدخلهُ الملائكة» . (بخاري ـ باب قول الله تعالى : ﴿قل من حرم زينة الله ... ﴾ رقم الحديث : ٥٨٢٤) .

وكذلك لم يدخل رسول الله ﷺ في بيت فلذة كبده : السيدة فاطمة رضي الله عنها ـ وكان من عادته ﷺ أنه كان أوّلَ مَنْ يَدْخلُ عَلَيهَا إذَا قَدِمَ من سفره : فاطِمَة رضي الله عنها :

فعن ثوبَانَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) مَولَى رَسُولِ الله ﷺ ، قال : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إذَا سَافرَ كَانَ آخرَ عَهدِهِ بإنسان مِن أهلِهِ فاطِمَة وأول مَن يَدخلُ عَلَيهَا إذَا قَدِمَ : فاطِمَة ، فقَدِمَ مِن غَزَاةٍ لَهُ ، وَقَدْ عَلَّقَتْ مِسْحاً أوْ سِتْرًا عَلَى بَابِهَا . وَحلَّتِ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ قلبَيْنِ (سوارين) مِن فِضَة فقَدِمَ وَلَم يَدْخُلْ ، فظَنَتْ أنَّ مَا مَنَعَهُ أنْ يَدخَلَ مَا رَأى فَهَتكَتِ السِّترَ وَفكَكتِ القُلْبَيْنِ عَنِ الصبيَّيْنِ وَقطعَتهُ بَينَهُما فانطلَقا إلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهمَا يَبكِيَانِ فأخَذَهُ مِنهُمَا وَقالَ : يَا ثوبَانُ اذهَبْ بهذا إلَى آلِ فُلانٍ ـ أهلِ بَيتٍ بالمَدِينَةِ ـ إنَّ هَؤلاء أهلُ بَيتِي أكرَهُ أن يَأكُلوا طَيبَاتِهِم فِي حَيَاتِهِمُ الدنيَا ، يَا ثوْبَانُ اشتَرِ لفَاطِمَة قِلادَة مِنْ عَصَبٍ وَسِوَارَيْنِ مِن عَاجٍ)

(أبو داود ـ ترجل ـ باب ما جاء في الانتفاع بالعاج ٤/٨٧ح ٤٢١٣).

قلت : أين ذهب في هذا العهد الزوج والأب الذي لا يدخل في بيته وبيت ابنته الذي فيه تصاوير حتى يأمر بإزالتها فيدخل ؟ وأين ذهب ثمرة إيمانه وقوته وكماله ؟ فليسأل قلبه !!

وأين ذهبت أمَةَ الله (بنت السيدة عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) التي شهدت برسالة نبيها ﷺ فتقوم وتزيل جميع الصور ـ من ذات الأرواح ـ التي في بيتها إقتداء بأمها السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وامتثالا لأمر نبيها ﷺ حتى تدخل في بيتها ملائكة الرحمة ويرضى بها الله ورسوله ﷺ .

وقد عرضت لرسول الله ﷺ هذه القصة أيضاً فقال : «إن البيت الذي فيه الصورة والكلب لا تدخله الملائكة» ، ولم يدخل جبريل عليه السلام في بيت سيد المرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ مع أنه وعد بمجيئه في بيته ﷺ كما ثبت في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه :

فعن مَيمُونَة (أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) أنَّ رَسُولَ اللهِ أصبَحَ يوماً وَاجِماً - أي ساكتاً حزيناً - فقَالت مَيمُونَة : يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدِ استنكَرتُ هَيئتكَ مُنذُ اليَوْمِ . قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إنَّ جبْرِيل كَانَ وَعَدَني أن يَلقَاني اللَّيلَةَ . فلَم يَلقَنِي . أمَ وَاللهِ مَا أخلَفَنِي» قالَ : فظَلّ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَومَهُ ذلِكَ عَلَى ذلِكَ . ثمّ وَقَعَ فِي نفسِهِ جروُ كَلبٍ تحْتَ فسْطاطٍ لنَا . فأمَرَ بهِ فأخرِجَ . ثمَّ أخَذَ بيَدِهِ مَاءَ فنَضحَ مَكَانَهُ . فلَمَّا أمسَى لقِيَهُ جبرِيلُ . فقَالَ لهُ : «قَدْ كُنتَ وَعَدتَنِي أن تلقَاني البَارِحَة» قالَ : أجَلْ . و لكنَا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ، فأصبَحَ رَسُولُ اللهِ ، يَوْمَئِذٍ ، فأمَرَ بقَتلِ الكِلابِ . حَتى إنهُ يَأمُرُ بقَتلِ كَلبِ الحَائِطِ الصغِيرِ، وَيَترُكُ كَلبَ الحَائِطِ الكَبيرِ . (مسلم : ١٤/٦٧ رقم : ٥٤٦٨ - وبرقم ٥٤٦٦) .

ذكر الحافظ في الفتح قوله : «باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة» وقال : قال القرطبي في «المفهم» : إنما لم تدخل الملائكة البيت الذي فيه الصورة لأن متخذها قد تشبه بالكفار لأنهم يتخذون الصور في بيوتهم ويعظمونها ، فكرهت الملائكة ذلك فلم تدخل بيته هجرا له لذلك» انتهى .

موعظة بليغة

﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم ، وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ (يونس : ٢٧) .

﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (البقرة : ٢٧٥) .

الصور في البيوت : تلك التي تتخذ زخرفة ويتبارى الناس في زخرفتها وتغليفها وإبرازها وتزيينها : هذه كلها تجر الوبال على صاحب البيت من حيث لا يدرى ، وها هو ذا رسول الله ﷺ

يخبرنا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب أو صورة . وها هو ذا جبريل يرجع من بيت فيه النبي ﷺ لأن فيها كلباً ، وها هو ذا محمد ﷺ يهتك ستراً فيه تصاوير .

والصورة حرام مطلقاً ، سواء أكانت تصويراً شمسياً أو تصويراً يدوياً ، وإنما أباح جماعة هذا التصوير الشمسي للضرورة وحاجات المرء الشرعية ومقاصده الحياتية الضرورية ، لا لكي تتخذ ملهاة وزينة وزخرفة في المنازل .

وكلاب الزينة وتربية الكلاب : مخالفة لفطرة الإنسان ومقررات الشرع ودين الله ، وبحسبك أن تعلم أن بيتك محجوب عن الملائكة مادام فيه كلب ، إما الكلب وإما الملائكة فانظر أيهما أعزُّ عندك وأحب إليك : الكلب أم جبريل وملائكة الرحمن ؟؟ هذا بلاغ للناس اللهم اشهد . «اللباس والزينة من السنة المطهرة» ص ٤٠٦

فمن كان يؤمن بالله ورسوله ﷺ - من الرجال والنساء -: عليه أن يتمسك بهديه ﷺ في البيوت وغيرها من المحلات في جميع شئون الحياة ، ويجتنب هذه المعصية لأن فيها مشابهة بالكفار أعداء الله وأعداء الرسول ﷺ . وقانا الله من ذلك .

فصل في

لباس أهل الجنة
وحليهم ومناديلهم وفرشهم وسررهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم

قال رب العزة والجلال : ﴿إنَّ المُتقِينَ فِي مَقَامٍ أمِينٍ ، فِي جَنَاتٍ وَعيُونٍ ، يَلبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإستبرَقٍ متقَابِلِينَ﴾ (الدخان : ٥١ - ٥٣) .

وقال تعالى : ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إنا لاَ نضِيعُ أجرَ مَنْ أحسَنَ عَمَلاً ، أوْلئِكَ لَهُمْ جَنَاتُ عَدْنٍ تجْرِي مِن تحتِهِمُ الأنهَارُ يُحَلوْنَ فِيهَا مِنْ أسَاوِرَ مِن ذهَبٍ وَيَلبَسُونَ ثِيَاباً خُضرا مِّن سُندُسٍ وَإستبرَقٍ متكِئينَ فِيهَا عَلَى الأرَآئِكِ﴾ (الكهف : ٣٠ - ٣١) .

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» ص ١٦٩ : قال جماعة من المفسرين : السندس : ما رَق من الديباج . والإستبرق : ما غلظ منه .

(وقال : السندس : وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها ﴿وَإستبرَقٍ﴾ وهو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالريش وما يلبس على أعالي القماش) .

وقالت طائفة : ليس المراد به الغليظ ولكن المراد به الصفيق . وقال الزجاج : هما نوعان من الحرير ، وأحسن الألوان الأخضر ، وألين اللباس الحرير ، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته ، والتذاذ الجسم به . انتهى

وذكر القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿ويلبسون ثياباً خضرا﴾ حيث قال : وخص الأخضر بالذكر لأنه الموافق

للبصر؛ لأن البياض يبدّد النظر ويؤلم ، والسواد يذم ، والخضرة بين البياض والسواد ، وذلك يجمع الشعاع . والله أعلم .

روى النسائيّ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله ، أخبرنا عن ثياب الجنة ، أخَلقٌ يُخلق أم نسيج ينسج ؟ فضحك بعض القوم . فقال لهم : «ممّ تضحكون من جاهل يسأل عالماً» فجلس يسيرا أو قليلاً فقال رسول الله ﷺ: «أين السائل عن ثياب الجنة» ؟ فقال : ها هو ذا يا رسول الله ؛ قال : «لا بل تشتقق عنها ثمر الجنة» . قالها ثلاثاً.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : دار المؤمن درّة مجوّفة في وسطها شجرة تنبت الحُلَل ويأخذ بأصبعه أو قال بأصبعيه سبعين حُلة منظمة بالدرّ والمَرْجان . ذكره يحيى بن سلام في تفسيره وابن المبارك في رقائقه . وقد ذكرنا إسناده في كتاب التذكرة.

وُذكِر في الحديث أنه يكون على كل واحد منهم الحلة لها وجهان لكل وجه لون ، يتكلمان بصوت يستحسنه سامعه ، يقول أحد الوجهين للآخر: أنا أكرم على وَلِيّ الله منك ، أنا ألِي جسده وأنت لا تلِي . ويقول الآخر : أنا أكرم على وليّ الله منك ، أنا أبصر وجهه وأنت لا تبصر. (فنسأل الله الكريم ، أن لا يحرمنا خير ما عنده ، من الإحسان ، بشَر ما عندنا من التقصير والعصيان) .

وقوله تعالى : ﴿متكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأرَآئِكِ﴾ الأرائك جمع أريكة ، وهي السرر في الحجال . وقيل : الفرش في الحجال ؛ قاله الزجاج . (وقال) ابن عباس : هي الأسرّة من ذهب ، وهي مكللة بالدر والياقوت عليها الحجال ، الأريكة ما بين صنعاء إلى أيلة وما بين عدن إلى الجابية . (انتهى) .

وقال رب العزة والجلال في لباس أهل الجنة : ﴿إنَّ اللّهَ يُدخِلُ الذِينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ جَنَاتٍ تجرِي مِن تحتِهَا الأنهَارُ

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (الحج : ٢٣) .

قوله تعالى : ﴿يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ قال القرطبي : قال المفسرون : لما كانت الملوك تلبَس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة ، وليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة : سوار من ذهب ، وسوار من فضة ، وسوار من لؤلؤ. (١) (كما) قال هنا (أي المذكور في الآية أعلاه) ، (٢) وفي (سورة) فاطر : ﴿مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ (فاطر: ٣٣) ، (٣) وقال في سورة الإنسان : ﴿وَحلوا أسَاوِرَ مِن فِضةٍ﴾ (الإنسان : ٢١) .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سمعت خليلي ﷺ يقول : «تبلغ الحِلْية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» .

وقوله تعالى : ﴿وَلِبَاسُهُم فِيهَا حَرِيرٌ﴾ أي وجميع ما يلبَسونه من فرُشهم ولباسهم وستورهم حرير ، وهو أعلى مما في الدنيا بكثير .

وروى النسائيّ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبيّ ﷺ قال : «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبَسه في الآخرة ، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ، ومن شرب في آنية الذهب والفضة لم يشرب فيها في الآخرة ـ ثم قال رسول الله ﷺ ـ : لباسُ أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة» .

فإن قيل : قد سوّى النبيّ ﷺ بين هذه الأشياء الثلاثة وأنه يُحرمُها في الآخرة ؛ فهل يحرمها إذا دخل الجنة ؟

قلنا : نعم ! إذا لم يتب منها حُرِمها في الآخرة ، وإن دخل الجنة ؛ لاستعجاله ما حرم الله عليه في الدنيا. الخ ما ذكره القرطبي .

وذكر ابن كثير رحمه الله : «... وقال كعب الأحبار : إن في الجنة ملكاً لو شئت أن أسميه لسميته ، يصوغ لأهل الجنة الحلي

منذ خلقه الله إلى يوم القيامة لو أبرز قلب منها ـ أي سوار منها ـ لرد شعاع الشمس كما ترد الشمس نور القمر. انتهى .

وذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلِبَاسُهُم فِيهَا حَرِير﴾ (فاطر : ٣٣) وقال : ولهذا كان محظورا عليهم في الدنيا ، فأباحه الله تعالى لهم في الدار الآخرة .

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» . وقال: «هي لهم في الدنيا ، ولكم في الآخرة» .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن سواد السرحي ... عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إن أبا أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم ، وذكر حلي أهل الجنة فقال : «مسورون بالذهب والفضة مكللة بالدر، وعليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة ، وعليهم تاج كتاج الملوك ، شباب جرد مرد مكحولون» . انتهى .

وقال تعالى في لباس أهل الجنة أيضاً : ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾ (الإنسان : ١٢) وقال : ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وإِسْتَبْرَق﴾ (الإنسان : ٢١) .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في تفسر قوله تعالى ﴿عاليهم ثياب﴾ قال : أما رأيت الرجل عليه ثيابٌ يعلوها أفضل منها . ذكره القرطبي .

وذكر ابن كثير في قوله تعالى ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ (الرحمن : ٥٨) : عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يرى مخها» . وذلك قول الله تعالى : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه ، وهكذا رواه الترمذي من حديث

عبيدة بن حميد وأبي الأحوص عن عطاء بن السائب به، ورواه موقوفاً ثم قال : وهو أصح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان .. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة ، يرى مخ ساقها من وراء الثياب» . تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه.

وقد روى مسلم .. عن محمد بن سيرين قال : إما تفاخروا وإما تذاكروا ، الرجال أكثر في الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أوَلم يقل أبو القاسم ﷺ : «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها على ضوء كوكب دري في السماء، لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب» .(رواه مسلم) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر .. عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن رسول ﷺ قال : «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده ـ يعني سوطه ـ من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولطاب ما بينهما، ولنصيفها (أي خمارها) على رأسها خير من الدنيا وما فيها» ورواه البخاري (انتهى ما ذكره ابن كثير رحمه الله) .

وقال ابن القيم رحمه الله في «حادي الأرواح ص ١٧٠-١٧١) : وتأمل ما دلت عليه لفظة ﴿عاليهم﴾ من كون ذلك اللباس ظاهرا بارزا ، يجمل ظواهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن ، بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال .

ثم ذكر بعد قليل وقال : وتأمل كيف جمع لهم بين نوعي الزينة الظاهرة من اللباس والحلي كما جمع لهم بين الظاهرة

والباطنة .. فجمع البواطن بالشراب الطهور والسواعد بالأساور ، والأبدان بالثياب الحرير .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن إدريس الحنظلي قال : سمعت أبا أمامة يحدث عن رسول الله ﷺ قال : «من منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى ، فتفتح له أكمامه ، فيأخذ من أي ذلك شاء أبيض وإن شاء أحمر وإن شاء أخضر وإن شاء أصفر وإن شاء أسود ، ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن» .

وقال ابن أبي الدنيا وحدثنا سويد عن سعيد ... أنه سمع أباه قال : «قلت لابن عباس رضي الله عنهما : ما حلل الجنة ؟ قال : فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان ، فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصنها فانفلقت عن سبعين حلة ألوانا بعد ألوان ، ثم تنطبق ترجع كما كان» .

قال : وحدثنا عبد الله بن أبي خيثمة ... عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أن رجلا قال له : يا رسول « طوبى لمن رآك وآمن بك فقال : طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ، فقال له رجل : وما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» . .

وقال حدثني يعقوب بن عبيد ... قال أبو هريرة رضي الله عنه : «دار المؤمن في الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل بإصبعيه - وأشار بالسبابة والإبهام - سبعين حلة ممنطقة باللؤلؤ والمرجان» . ... و قال كعب : «لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم» .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «أهدى أكيدر دومة إلى النبي ﷺ جبة من سندس فتعجب الناس من حسنها فقال : «لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا» .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «أهدي لرسول الله ﷺ ثوب حرير ، فجعلوا يعجبون من لينه ، فقال رسول الله ﷺ : «تعجبون من هذا ؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا» .

ولا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا فإنه كان من الأنصار بمنزلة الصديق في المهاجرين ، واهتز لموته العرش ، وكان لا يأخذه في الله لومة لائم ، وختم الله له بالشهادة وآثر رضا الله ورسوله ﷺ على رضا قومه وعشيرته وحلفائه ، ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله فوق سبع سماواته ، ونعاه جبريل إلى النبي ﷺ يوم موته ، فحق له أن تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك . (انتهى ما ذكره ابن القيم رحمه الله بحذف واختصار) .

ومن ملابس أهل الجنة التيجان على رؤوسهم

ذكر البيهقي من حديث يعقوب بن حميد .. عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : «من قرأ القرآن فقام به آناء الليل وأطراف النهار ، ويحل حلاله ويحرم حرامه ، خلطه الله بلحمه ودمه ، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجاً ، فقال : يارب كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا إلا فلاناً كان يقوم في آناء الليل وأطراف النهار ، فيحل حلالي ويحرم حرامي ، يقول : يارب فاعطه ، فيتوجه الله تاج الملوك ويكسوه من حلة الكرامة ثم يقول : هل

رضيت ؟ فيقول (القرآن) : يا رب ! أرغب له في أفضل من هذا ، فيعطيه الله الملك بيمينه والخلد بشماله ، ثم يقول له : هل رضيت ؟ فيقول : نعم يا رب» . (ذكره ابن القيم في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ١٧٤) .

وذكر الإمام أحمد في المسند من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول : تعلموا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة ، قال : ثم مكث ساعة ثم قال : تعلموا سورة البقرة وآل عمران ، فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان (الغياية ما أظل الإنسان فوقه) أو فرقان من طير صواف ، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقول ما أعرفك ، فيقول : أنا صاحبك القرآن ، الذي أظمأتك في الهواجر ، وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا ، فيقولان بم كسينا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال له : اقرأ واصعد في درجة الجنة وغرفها ، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً» . (مسند الإمام أحمد رقم : ٢٢٥٦٨ ، وسنن الدارمي رقم ٣٣٨٩) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الرجل ليتكىء في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأته ، فتضرب على منكبيه ، فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة ، وأن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه قال : فيرد السلام ، ويسألها من أنت ؟ وتقول : أنا من المزيد ، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً ، أدناها مثل النعمان من طوبى ،

فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وإن عليها من التيجان إن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب».
(مسند الإمام أحمد رقم : ١١٤٧٢) .

وفي سنن الترمذي عن أبي سعيدٍ الخدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ... عن النبيِّ ﷺ قالَ : «إنَّ عَليهِمْ التيجَانُ إن ادنَى لؤلؤة مِنهَا لتضِيءُ مَا بَينَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ» . قال أبو عيسَى : هَذا حَديث غريب. (سنن الترمذي ٢٩١/٧ ، رقم الحديث : ٢٦١٩) .

وعن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قالَ : يجيءُ القرآنُ يشفعُ لصاحِبِهِ ، يقولُ : يا ربِّ لكلّ عاملٍ عَمالة منْ عملِهِ ، وإني كنتُ أمنعُهُ اللّذّة والنومَ فأكرِمْهُ ، فيقالُ : أبْسُطْ يميْنَكَ فيُملأ منْ رضوانِ اللّهِ ، ثمَّ يقالُ : أبْسُطْ شمالَكَ فيملأ منْ رضوانِ اللّه ، ويُكسَى كسوةَ الكرامةِ ، ويحلّى حِليةَ الكرامةِ ، ويُلبس تاجَ الكرامَةَ .
(سنن الدارمي رقم : ٣٣١٠) .

وعَنْ أبي صالحٍ ، قالَ : سمعتُ أبَا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقولُ : «إقرؤوا القرآنَ فإنّهُ نِعمَ الشفيعُ يومَ القيامةِ ، إنّهُ يقولُ يومَ القيامةِ : يا ربّ حلّهِ حِليةَ الكرامةِ ، فيُحلى حِليةَ الكرامةِ ، يا رب أكسُهِ كسوةَ الكرامةِ ، فيُكسَى كسوةَ الكرامَةِ ، يَا ربّ ألبسْهُ تاجَ الكرامةِ ، يا ربّ إرضَى عَنْهُ فلَيْسَ بَعْدَ رضاكَ شيءٌ.» (سنن الدارمي رقم : ٣٣٠٩) .

فُـــرش أهـــل الجنـــة

وذكر الطبري في تفسيره : يقول تعالى ذكره : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه جَنَتَانِ﴾ يتنعمون فيهما متكِئِينَ عَلى فُرُشٍ (والفرش جمع فراش) .

وقوله تعالى : ﴿متكئين على فرش بطائنها من استبرق﴾ (الرحمن : ٥٤) عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قوله : فُرُشٍ بَطائنها مِنِ استَبرَقٍ قال : قد أخبرتم بالبطائن ، فكيف لو أخبرتم بالظواهر؟.

«.. وعن جعفر ، عن سعيد ، قال : قيل له : هذه البطائن من إستبرق فما الظواهر؟ قال : هذا مما قال الله : ﴿ فلا تعلَم نَفْسٌ ما أخفِيَ لَهُمْ من قرةِ أعيُنٍ﴾ (السجدة : ١٧) (انتهى قول الطبري) .

وذكر القرطبي في تفسيره وقال «.. وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : إنما وصف لكم بطائنها لتهتدي إليه قلوبكم ، فأما الظواهر فلا يعلمها إلا الله . وفي الخبر عن النبيّ ﷺ أنه قال : «ظواهرها نور يتلألأ». انتهى

وذكر السعدي في تفسير قوله تعالى : ﴿متكئين على فرش بطائنها من استبرق﴾ (الرحمن : ٥٤) وقال : هذه صفة فرش أهل الجنة وجلوسهم عليها ، وأنهم متكئون عليها ، أي : جلوس تمكن واستقرار وراحة ، كجلوس الملوك على الأسرة.

وتلك الفرش ، لا يعلم وصفها وحسنها إلا الله تعالى ، حتى إن بطائنها التي تلي الأرض منها من استبرق ، وهو أحسن الحرير وأفخره ، فكيف بظواهرها التي يباشرون؟ (انتهى) .

وذكر ابن القيم في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ١٧٥ : وأما الفرش فقد قال تعالى : ﴿ متكئين على فرش بطائنها من استبرق﴾ (الرحمن : ٥٤) وقال تعالى : ﴿وفرش مرفوعة﴾

(الواقعة : ٣٤) فوصف الفرش بكونها مبطنة بالاستبراق ، وهذا يدل على أمرين : أحدهما : أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها لأن بطائنها للأرض ، وظاهرها للجمال والزينة والمباشر .

الثاني : يدل على أنها فرش عالية ، لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة . وقد روي في سمكها وارتفاعها آثار ... والمراد ارتفاع محلها كما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ ، في قوله : ﴿ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ قال : «إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض ، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمس مئة عام» . قال الترمذي حديث غريب .. وقيل معناه : أن الإرتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها . اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره بعد ذكر حديث الترمذي المذكور : «وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث : الفُرُش في الدرجات وما بين الدرجات كما بين السماء والأرض» .

وقيل : إن الفُرُش هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة ولم يتقدّم لهنّ ذكر ، ولكن قوله عز وجل : ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ دالٌّ ؛ لأنها محل النساء ؛ فالمعنى : ونساء مرتفعات الأقدار في حسنهنّ وكمالهنّ ؛ دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً﴾ أي خلقناهنّ خلقاً وأبدعناهنّ إبداعاً.

والعرب تسمي المرأة فِراشاً ولباساً وإزارا ؛ وقد قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ . ثم قيل : على هذا هنّ الحور العين ؛ أي خلقناهنّ من غير ولادة.

وقيل : المراد نساء بني آدم ؛ أي خلقناهنّ خلقاً جديدا وهو الإعادة ؛ أي أعدناهنّ إلى حال الشباب وكمال الجمال . والمعنى أنشأنا العجوز والصّبية إنشاءً واحدا، وأضمرن ولم يتقدّم ذكرهنّ ؛ لأنهنّ قد دخلن في أصحاب اليمين ؛ ولأن الفُرُش كناية عن النساء كما تقدّم. انتهى قول القرطبي رحمه الله .

خيام أهل الجنة وسررهم وأرائكهم

قال تعالى : ﴿حُور مَقصُورَاتٌ فِي الخِيام﴾ (الرحمن : ٧٢) ذكر ابن القيم في «حادي الأرواح» ص ١٧٨ : حيث قال : وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال : «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً» .

وفي لفظ لهما : «في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن» .

وفي لفظ آخر لهما أيضاً : «الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلا ، في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون» .
وفي للبخاري وحده في لفظ : «طولها ثلاثون ميلا» .

ثم قال ابن القيم رحمه الله : هذه الخيم غير الغرف والقصور ، بل هي خيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار .

وقال بعضهم : لما كنا أبكارا ، وعادة البكر أن تكون مقصورة في خدرها حتى يأخذها بعلها ، أنشأ الله تعالى الحور وقصرهن في خدور الخيام حتى يجمع بينهن وبين أوليائه في الجنة» . انتهى ماذكره ابن القيم رحمه الله .

وذكر الطبري بسنده في تفسير قوله تعالى : ﴿حُور مَقصُورَات فِي الخيام﴾ (الرحمن : ٧٢) ذكر لنا أن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كان يقول : الخيمة درّ مجوّفة ، فرسخ في فرسخ ، لها أربعة آلاف باب من ذهب.

وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى المذكور حيث قال : وقال الترمذيّ الحكيم أبو عبد الله في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقصُورَات

فِي الخِيَامِ﴾ : بلغنا في الرواية أن سحابة أمطرت من العرش ، فخلقت الحور من قطرات الرحمة ، ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الأنهار سعتها أربعون ميلا وليس لها باب ، حتى إذا دخل وليّ الله الجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم وليّ الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها ، فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين . والله أعلم .

ثم ذكر القرطبي بعد قليل وقال : وروى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبيّ ﷺ : «مررت ليلة أسري بي في الجنة بنهر حافتاه قِبَاب المرجان ، فنوديت منه : السلام عليك يا رسول الله ، فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء حوار من الحور العِين ، استأذنّ ربهنّ في أن يُسلّمن عليك ، فأذن لهنّ ، فقلن : نحن الخالدات فلا نموت أبدا ، ونحن الناعمات فلا نَبْؤس أبدا ، ونحن الراضيات فلا نسخَط أبدا ، أزواج رجال كرام» ، ثم قرأ النبيّ ﷺ ﴿حُورٌ مَّقصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ﴾ أي محبوسات حبس صيانة وتكرمة.

وروي عن أسماء بنت يزيد الأشهلية أنها أتت النبيّ ﷺ فقالت : يا رسول الله ! إنا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعدُ بيوتكم وحواملُ أولادكم ، فهل نشارككم في الأجر؟ فقال النبيّ ﷺ : «نعم إذا أحسنتن تبعلَ أزواجكنّ وطلبتن مرضاتهم».

انتهى ما ذكره القرطبي .

وذكر السعدي في تفسير قوله تعالى : ﴿حورٌ مقصورات في الخيام﴾ ، أي : محبوسات في خيام اللؤلؤ ، قد تهيأن وأعددن أنفسهن لأزواجهن .

ولا ينفي ذلك خروجهن في البساتين ، ورياض الجنة ، كما جرت العادة لبنات الملوك المخدرات الخفرات.

﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ★ فبأي آلاء ربكما تكذبان ★ متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان﴾ ، أي : أصحاب

هاتين الجنتين ، متكأهم على الرفرف الأخضر ، وهي : الفرش التي تحت المجالس العالية ، التي قد زادت على مجالسهم ، فصار لها رفرفة من وراء مجالسهم ، لزيادة البهاء ، وحسن المنظر.

﴿ وعبقري حسان ﴾ العبقري : نسبة لكل منسوج نسجا حسناً فاخرا ، ولهذا وصفها بالحسن الشامل ، لحسن الصفة والمنظر ونعومة الملمس. انتهى قول السعدي رحمه الله

وقال ابن كثير رحمه الله : «.. وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيّ حِسَان﴾ فقال : هي بسط أهل الجنة لا أبا لكم فاطلبوها» . اهـ

وقال تعالى : ﴿ فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ﴾ (الغاشية : ١٣-١٦)

ذكر الطبري في تفسيره وقال : قوله تعالى : ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ والسرر: جمع سرير ، مرفوعة ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوّله ربه من النعيم والملك فيها ، ويلحق جميع ذلك بصره.

﴿وَنَمَارِقُ﴾ أي وسائد ، الواحدة نُمْرُقَة . ﴿مَصفوفة﴾ أي واحدة إلى جنب الأخرى .

وفي الصحاح : النمرق والنمرقة : وسادة صغيرة . ﴿وَزَرَابِيُّ مَبثوثة﴾ : قال أبو عُبيدة : الزرابيّ : البُسُط . وقال ابن عباس : الزّرابيّ : الطّنافس التي لها خَمْل رقيق . انتهى .

وذكر ابن كثير في تفسر قوله تعالى المذكور حيث قال : ومعنى مبثوثة أي ههنا وههنا ، لمن أراد الجلوس عليها ، وذكر ههنا هذا الحديث الذي رواه أبو بكر بن أبي داود.. عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ : «ألا هل من مشمر للجنة ، فإن الجنة لا خطر لها ، وهي ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة

حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في أبد في دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحبرة ونعمة ، في محلة عالية بهية ؟» قالوا : نعم ، يارسول الله ﷺ ، نحن المشمرون لها ، قال : «قولوا : إن شاء الله» قال القوم : إن شاء الله» . (ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقي عن الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر به) . انتهى .

نور على نور

قال أبو طلحة : هذا موجز ما ذكرناه في لباس أهل الجنة وما يتعلق به من حليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وتيجانهم وسررهم وأرائكهم ، وذكرنا شيئا من حسن هذه الأشياء وجمالها وجمال من استعملها من أهل الجنة بفضله سبحانه ، فسبحان من خلق الجنة وما فيها لعباده فقال : ﴿وَتِلْكَ الجَنةُ الّتِي أورثتمُوها بمَا كُنتم تعمَلُونَ ★ ﴾ (الزخرف : ٧٢) .

هذا ، وزد على هذا الجمال يا عبد الله ! : جمال أزواجك المتعشقات المتحببات لك في الجنة - إن شاء الله - فهو نور على نور (ويهدي الله لنور من يشاء) .

فيقول رب العزة والجلال : ﴿كذلك وزوجناهم بحور عين﴾ (الدخان : ٥٤) ، وقال تعالى : ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ (الطور : ٢٠) أي وجعلنا لهم قرينات صالحات وزوجات حساناً من الحور العين . قاله ابن كثير رحمه الله .

ثم ذكر ابن كثير «.. عن ثابت قال : بلغنا أن الرجل ليتكىء في الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه ، وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم ، فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواج له ، لم يكن رآهن قبل ذلك ، فيقلن : قد آن لك أن تجعل لنا منك نصيباً» انتهى .

وقال رب العزة والجلال في صفة هؤلاء الأزواج : ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ أي : إنا أنشأنا نساء أهل الجنة ، نشأة غير النشأة التي كانت في الدنيا ، نشأة كاملة لا تقبل الفناء. ﴿فجعلناهن أبكارا﴾ (صغارهن وكبارهن . وعموم ذلك يشمل الحور العين ، ونساء أهل الدنيا ، وأن هذا الوصف ـ وهو البكارة ـ ملازم لهن في جميع الأحوال ، كما أن كونهن ﴿عربا أترابا﴾ ملازم لهن في كل حال (الآيات من سورة الواقعة : ٣٥ـ٣٨) .

والعروب : هي المرأة المتحببة إلى بعلها ، وحسن هيئتها ودلالها ، وجمالها ومحبتها ، فهي التي إن تكلمت سبت العقول ، وود السامع أن كلامها لا ينقضي ، خصوصاً عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة ، والنغمات المطربة ، وإن نظر إلى أدبها وسمتها ودلها ملأت قلب بعلها فرحاً وسرورا ، وإن انتقلت من محل إلى آخر ، امتلأ ذلك الموضع منها ريحاً طيباً ونورا.

والأتراب اللاتي على سن واحدة ، ثلاث وثلاثين سنة ، التي هي غاية ما يتمنى أكمل سن الشباب. فنساؤهم عرب أتراب، متفقات مؤتلفات، راضيات مرضيات، لا يَحْزَنَّ ولا يُحْزِنَّ ، بل هن أفراح النفوس ، وقرة العيون ، وجلاء الأبصار. ذكره السعدي في تفسيره .

وذكر في موضعاً آخر من تفسيره وقال : قوله تعالى : ﴿وَحُور عِين ★ كَأَمثَالِ اللُّؤلُؤِ المَكنونِ ★ جَزَآءَ بِمَا كَانوا يَعمَلُونَ ★ لاَ يَسمَعونَ فِيهَا لَغوا وَلاَ تَأثِيما ★ إِلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً ★﴾ (الواقعة ٢٢ـ٢٦) ، أي : ولهم حور عين ، الحوراء : التي في عينها كحل وملاحة ، وحسن وبهاء ، والعين : واسعات الأعين حسانها ، وحسن عين الأنثى ، من أعظم الأدلة على حسنها وجمالها.

﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ ، أي : كأنهن اللؤلؤ الرطب الصافي البهي ، المستور عن الأعين والريح والشمس ، الذي يكون لونه من

أحسن الألوان ، الذي لا عيب فيه بوجه من الوجوه، فكذلك الحور العين ، لا عيب فيهن بوجه من الوجوه ، بل هن كاملات الأوصاف ، جميلات النعوت .

فكل ما تأملته منها ، لم تجد فيه إلا ما يسر القلب ويروق الناظر ، وذلك النعيم المعد لهم ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ ، فكما حسنت منهم الأعمال ، أحسن الله لهم الجزاء ، ووفر لهم الفوز والنعيم . ﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما﴾ ، أي : لا يسمعون في جنات النعيم ، كلاماً يلغى، ولا يكون فيه فائدة ، ولا كلاماً يؤثم صاحبه . ﴿إلا قيلاً سلاماً سلاما﴾ أي : إلا كلاماً طيباً، وذلك لأنها دار الطيبين ، ولا يكون فيها إلا كل طيب.

وهذا دليل على حسن أدب أهل الجنة في خطابهم فيما بينهم ، وأنه أطيب كلام ، وأسره للقلوب ، وأسلمه من كل لغو وإثم ، نسأل الله من فضله: «أن يجعلنا من أهل الجنة» . انتهى .

لمن هؤلاء الفتيات المتعشقات ذات عظام الأعين والجنة ونعيمها مع حسنها وجمالها؟؟

فاعلم يا عبدالله ويا أمة الله ! أن الجنة وما فيها ما هي إلا لعباد الله المتقين المطيعين لله ولرسوله الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، يقول رب العزة والجلال :﴿تِلْكَ الجَنَّةُ التِى نُورِثُ مِن عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً﴾ (مريم : ٦٣) قال ابن كثير رحمه الله : أي هذه الجنة التي وصفنا بهذه الصفات العظيمة ، هي التي نورثها عبادنا المتقين ، وهم المطيعون لله عز وجل في السراء والضراء ، والكاظمون الغيظ ، والعافون عن الناس ، وكما قال تعالى في أول سورة المؤمنين : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ★ الَّذِينَ هُم فِى صَلَاتِهِم خَاشِعُونَ ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ (المؤمنون : ١ ـ ١١) .

ففروا إلى الله ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ يا عباد الله . آل عمران : ١٣٣)

من يشتري قبة في عدن عالية   في ظل طوبى رفيعات مبانيها؟
دلالها المصطفى والله بائعها   ممن أراد وجبريل مناديها

وفقني الله وإياكم لذلك

موعظة جليلة **لأصحاب الفضيلة**

العمامة والإزار والرداء

كان من لباس سيد العرب والعجم

وسيد ولد آدم ، وأحب الناس إلى رب الناس ﷺ

لا يسخر قوم من قوم .. ولا نساء من نساء

اعلم جيدا أيها الأخ الكريم والأخت الكريمة : أن النبي ﷺ كان يلبس العمامة ، وكانت له عمامة تسمى : السحاب كما ذكره ابن القيم رحمه الله ، وكان ﷺ يلبس الإزار (الفوطه) والرداء ويأمر أصحابه رضي الله عنهم بذلك ، حتى قبض روحه ﷺ في هذين الثوبين - أي في كساء وإزار غليظ - وهو سيد العرب والعجم وسيد ولد آدم ﷺ ، وكان أحب الناس إلى رب العزة والجلال . وكذلك كان أكثر العرب في عهده ﷺ يلبسون الإزار والأردية - كما سيأتي - لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا أكثر إتباعا له ﷺ في جميع سيره . وإليك تفصيل ذلك :

فعن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ دخل مكة (وقال قتيبة : **دخل يوم فتح مكة**) **وعليه عمامة سوداء بغير احرام**» (مسلم - لباس - رقم : ٣٢٦٢) . وابن ماجه - لباس - باب العمامة السوداء/٢/١١٦٨ ح٣٥٨٦) وابو داود - لباس - ٤/٥٤ح ٤٠٧٦) .

وعن (جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : **كأني أنظر إلى رسول الله على المنبر . وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه**» (مسلم ـ لباس ـ رقم ٣٢٦٦) ، (نسائي ـ لباس ـ باب إرخاء العمامة بين الكتفين٢/١١٨٦ح ٣٥٨٧)

عن أبي بردة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «أخرجت إلينا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كساء وإزارا غليظاً فقالت : قبض روح النبي ﷺ في هذين» . (بخاري ـ لباس ـ باب الأكسية والخمائص رقم : ٥٦٨٤) .

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «**أخرجتْ إلينا عائشةُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **كساءً ملبَّداً وقالت : في هذا نُزعَ روحُ النبي** ﷺ» . وزاد سليمانُ عن حُمَيدٍ عن أبي بُردةَ قال : «أخرجَتْ إلينا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إزارا غليظاً مما يُصنَعُ باليمن ، وكِساءً من هذهِ التي تدْعونها الملبَّدة» . (بخاري ـ باب فرض الخمس ـ رقم : ٣٠٤٠) .

وعن عن أبي بردة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : **أخرجت إلينا عائشة إزارا وكساء ملبدا فقالت : في هذا قبض رسول الله** ﷺ». وفي رواية : «... إزارا غليظا » . (مسلم ـ لباس ـ الجزء ١٤رقم : ٥٣٩٨) .

وفي تحفة الأحوذي ٥/٣٣٧ : قوله : «**كساء**» **بكسر الكاف هو ما يستر أعلى البدن ، و«الإزار» ما يستر أسفله** .

«قبض رسول الله ﷺ في هذين» أي في هذين الثوبين وكأنه إجابة لدعائه ﷺ : «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً» .

قال النووي : في أمثال هذا الحديث بيان ما كان عليه ﷺ من الزهادة في الدنيا والإعراض عن متاعها وملاذها، **فيجب على الأمة أن يقتدوا وأن يقتفوا على أثره في جميع سيره**. انتهى .

وعن أبي بردة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً قال : دخلت على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأخرجت علينا **إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن وكساء من** التي

يسمونها ملبدة ، فأقسمت بالله أن رسول الله ﷺ قبض في هذين الثوبين» (أبو داود ـ لباس ـ باب لباس الغليظ ٤/٤٥ ح ٤٠٣٦).

وعن عروة رضي الله عنه : **«أن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه إلى الوفد ، رداء وثوب أخضر طوله أربعة أذرع ، وعرضه ذراعان وشبر ، وهو عند الخلفاء اليوم قد كان خلق فطووه بثوب يلبسونه يوم الفطر والأضحى» . ذكره الأصبهاني في « أخلاق النبي ﷺ وآدابه» برقم : ٢٨٢ وفي هامشه : هذا حديث مرسل وهو مكرر ما قبله إلا أنه خلا من العلتين المذكورتين في الذي قبله فهو من رواية ابن المبارك عن ابن لهيعة وروايته عنه مقبولة . انتهى.**

وذكر القارئ في المرقاة شرح المشكاة ٨/٢٥٠ : روى القضاعي والديلمي في مسند الفردوس عن علي كرم الله وجهه مرفوعاً : «**العمائم تيجان العرب ، والاحتباء حيطانها ، وجلوس المؤمن في المسجد رباط**» .

وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ : «**العمائم تيجان العرب ، فإذا وضعوا العمائم وضعوا عزهم**» .

وروى البارودي عن ركانة رضي الله عنه بلفظ : «العمامة على القلنسوة فصل ما بيننا وبين المشركين ، يعطى يوم القيامة لكل كورة يدورها على رأسه نورا .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على مشيخة من الأنصار، بيض لحاهم ، فقال: يا معشر الأنصار حمّروا وصفّروا وخالفوا أهل الكتاب ، قال : فقلنا : يا رسول الله ، إن أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزرون ! فقال رسول الله ﷺ : تسرولوا وائتزروا وخالفوا أهل الكتاب ، قال: فقلنا يا رسول الله ، إن أهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون ، قال : فقال النبي ﷺ : فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب ، قال: فقلنا : يا رسول الله إن أهل

الكتاب يقصون عثانينهم - أي لحاهم - ويوفرون سبالهم ، قال: فقال النبي ﷺ: قصّوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب. (مسند أحمد رقم : ٢١٩٠٨) ومجمع الزوائد - لباس - باب مخالفة أهل الكتاب في اللباس وغيره : ١٣١/٥) .

وعن فاطمة بنت الوليد قالت : «أنها كانت بالشام تلبس الثياب من ثياب الخز ثم تأتزر فقيل لها : **أما يغنيك هذا عن الإزار فقالت : إني سمعت رسول الله ﷺ يأمر بالإزار**». (مجمع الزوائد - لباس - باب كسوة النساء ١٣٧/٥ـ ١٣٨) .

وعن سالم بن عبد الله رضي الله عنه أن أباه حدثه : «أن رسول الله ﷺ قال «بينما رجل يجر إزاره خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»». (بخاري - لباس - باب من جر ثوبه خيلاء ٢٤/٤).

ذكر الحافظ في الفتح بعد ذكر الحديث المذكور حيث قال : **وقال الطبري : إنما ورد الخبر بلفظ الإزار لأن أكثر الناس في عهده ﷺ كانوا يلبسون الإزار والأردية** ، فلما لبس الناس القميص والدراريع كان حكمها حكم الإزار في النهي. انتهى .

وهذا رسول الله ﷺ يقول لعائشة رضي الله عنها : «يا عائشة ! إن أردت اللحوق بي ، فليكفك من الدنيا كزاد الراكب ، وإياك ومجالسة الأغنياء ، ولا تستخلقي ثوباً - أي لا تعديه خلقا - حتى ترقّعيه» (ترمذي - كتاب اللباس - ٢٤٥/٤ ح ١٧٨١).

قال في المرقاة ٢٥٤/٨ : قوله ﷺ : «حتى ترقعيه» أي تخيطي عليه رقعة ثم تلبسيه مرة ، وفيه تحريض لها على القناعة باليسير ، والإكتفاء بالثوب الحقير ، والتشبه بالمسكين والفقير .

في شرح السنة قال أنس رضي الله عنه رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع ثوبه برقاع ثلاث لبد بعضها فوق بعض .

وقيل : خطب عمر رضي الله عنه وهـو خليفة وعليه إزار فيـه اثنى عشر رقعة .

وروى ابن عساكر عن أبي أيوب أنـه ﷺ كـان يركب الحمـار، ويخصف النعـل ، ويرقـع القميص، ويلبس الصـوف ، ويقول : «من رغب عن سنتي فليس مني» انتهى ما في المرقاة .

هـــذا : وإن كثيرا ما نراه اليوم أنه إذا اعتم أحـد المسلمين بالعمامة ولبس الإزار (الفوطه) والرداء : يخالف اليـهود والنصارى في لباسهم ، ويـداوم علـى ذلـك اتباعـاً لسيد العـرب والعجـم وسـيد ولـد آدم صلـوات الله وسلامه عليـه ، فالنـاس يحتقـرون مثـل هـذا الرجل ـ إلا من رحم الله ـ ويستهزءون بـــه لما يرونـه رث الحـال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبيق في محادثتـه ؛ فـهذا حـرام ، فـلا يليـق بشأن المؤمـن والمؤمنـة أن يحتقـر غـيره مـهما كـان حالـه ، عسـى أن يكون هو أعظم قدرا وخيرا منه عند الله سبحانه .

أخي الكريـم وأخـتي الكريمـة ، انظـر إلى هـذا الـذي يعجبـك جسمه ولباسه وقبيلته وهو من أشراف الناس الـذي إن قـال يسـمع لقوله ، وإن خطب يُنكح ، وإن شفع يُشفع .

وإلى هذا الذي لا يعجبك جسـمه ولا لباسـه : رجـل لا يسـمع لقـــوله وهـــو رث الحـال مـــن فقـراء المسلمين ، وفي روايـــة ابـن حبان : « مسكين من أهل الصفـة» ذكـره الحـافظ في الفتـح . وهـذا سيدي أبو هريرة رضي الله عنه يذكر عن حال أهل الصفة ويقول :

«لقد رأيت سبعين من أصحـاب الصفـة مـا منـهم رجـل عليـه رداء إمـا إزار وإما كسـاء قـد ربطـوا في أعنـاقـهم ، فمنـها مـا يبلـغ نصف السـاقين ، ومنـها ما يبلـغ الكعبين ، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورتـه» .

(بخاري ـ كتاب الصلاة ـ رقم : ٤٢٣).

أتدري ماذا قال نبيك ﷺ في مثل هذين الرجلين ؟ قال ﷺ حينما رآهما : «هذا خيرٌ من مِلْء الأرض من مثلِ هذا» .

فعن سَهلِ بن سَعدِ الساعديِّ أنه قال: «مرَّ رجُلٌ على رسول الله ﷺ فقال لرجلٍ عنده جالس : ما رأيكَ في هذا ؟ فقال : رجلٌ من أشراف الناس ، هذا واللّه حريٌّ إن خَطبَ أن يُنكح ، وإن شَفَعَ أن يُشفَّعَ . قال: فسكت رسولُ اللّه ﷺ . ثم مرَّ رجل ، فقال له رسولُ اللّه ﷺ : ما رأيكَ في هذا ؟ فقال : يا رسولَ اللّه هذا رجلٌ من فُقراءِ المسلمين ، هذا حَرِيٌّ إن خَطبَ أن لا يُنكحَ ، وإن شَفَعَ أن لا يشفَّع ، وإن قال أن لا يُسمَعَ لقوله . فقال رسول اللّه ﷺ : هذا خيرٌ من مِلْء الأرض من مثلِ هذا».

(بخاري ـ كتاب الرقاق ـ باب فضل الفقر ـ رقم : ٦٣٠٠) .

قال الحافظ في الفتح في شرح الحديث المذكور ... أن السيادة بمجرد الدنيا لا أثر لها ، وإنما الإعتبار في ذلك بالآخرة كما تقدم «أن العيش عيش الآخرة» وأن الذي يفوته الحظ من الدنيا يعوض عنه بحسنة الآخرة ، ففيه فضيلة للفقر كما ترجم به. الخ ما ذكره الحافظ في الفتح .

«.. لكن تبين من سياق طرق القصة أن جهة تفضيله إنما هي لفضله بالتقوى ..قاله الحافظ في الفتح .

فالناس قد زجرهم الله عن التفاخر بالأنساب ، والتكاثر بالأموال ، والازدراء بالفقراء ؛ فإن المدار على التقوى .

قال رب العزة والجلال : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات : ١٣) .

وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى المذكور حيث قال : وقد خرّج الطبري في كتاب (آداب النفوس) .. و قال: حدّثني أو حدّثنا من شهد خطب رسول الله ﷺ بمنى في وسط أيام التشريق وهو على بعير فقال: «يأيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ ولا عجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ألا هل بلّغت؟ - قالوا نعم قال - ليبلّغ الشاهدُ الغائب» .

وفيه عن (أبي) مالك الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله لا ينظر إلى أحسابكم ولا إلى أنسابكم ولا إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه ، وإنما أنتم بنو آدم وأحبكم إليه أتقاكم» .

ولعليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في هذا المعنى وهو مشهور من شعره :

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهمُ آدمٌ والأمّ حواءُ
نفسٌ كنفس وأرواحٌ مشاكلةٌ ... وأعظمٌ خلقت فيهم وأعضاءُ
فإن يكن لهمُ من أصلهم حسبٌ ... يفاخرون به فالطين والماءُ
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهمُ ... على الهُدَى لمن استهْدَى أدِلاءُ
وقدْرُ كلّ امرىء ما كان يحسنه ... وللرجال على الأفعال سيماءُ
وضدُّ كل امرىء ما كان يجهله ... والجاهلون لأهل العلم أعداءُ

انتهى ما ذكره القرطبي رحمه الله .

فيا معشر الرجال والنساء : كما لا يخفى عنكم أن الغربي عبد للمال وللشهوات . المال هو الذي يحركه ، فلا يتحرك إلا من أجل الكسب المادي . والمال هو القيمة التي يقوم بها الإنسان ، فوجوده ومكانته في المجتمع مرهون بمقدار ما يتكسب من المال ، فربنا جل وعلا يقول : ﴿إن أكرمكم عندالله أتقاكم﴾ (الحجرات : ١٣) .

وهـــم يقولون : **إن أكرمكـــم عند الله أغناكم** . فعلينا أن لا نكون معهم في أقوالهم وأفعالهم ، وقانا الله من ذلك .

هـــذا : وذكر صاحب المرقاة في ٤٧/٢ قول الطيبي رحمه الله في أهمية السنة النبوية شارحا لقوله ﷺ : «ثلاثة لا تقربهم الملائكة ... (منهم) ... والمتضمخ بالخلوق ..» (الحديث ، رواه أبو داود كما في المشكاة باب مخالطة الجنب وما يباح له) .

قوله : «والمتضمخ بالخلوق» أي الرجل المتلطخ بالخلوق وهو طيب له صبغ يتخذ من الزعفران وغيره ، وتغلب عليه حمرة مع صفرة ، والنهي مختص بالرجال دون النساء ، وإنما لم تقربه الملائكة للتوسع في الرعونة والتشبه بالنساء ، قاله ابن الملك .

♥ ثم قال : وقال الطيبي رحمه الله : وفيه إشعار بأن من **خالف السنة وإن كان في الظاهر مزينا مطيبا مكرما عند الناس فهو في الحقيقة نجس أخس من الكلب** اهـ .

وقال رب العزة والجلال مخاطبا للمؤمنين والمؤمنات خاصة ، فمن كان يؤمن بالله ورسوله ﷺ حق الإيمان : فليستمع إلى قوله سبحانه وليستجب فإنه يقول : ﴿يا أيها الَّذينَ آمَنوا لا يَسخَر قَومٌ مِن قَومٍ عَسَى أن يَكونوا خَيرا منهُم وَلا نِسَآءٌ مِن نِسَآءٍ عَسَى أن يَكُنَّ خَيرا منهُنَّ﴾ (الحجرات : ١١) .

قال ابن كثير في تفسيره : ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : «الكبر : بطر الحق ، وغمط الناس» والمراد من ذلك : احتقارهم واستصغارهم ، وهذا حرام ، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرا (وخيرا منه) عند الله تعالى ، وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له ، ولهذا قال تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا..﴾الآية . انتهى ما ذكره ابن كثير .

وقال القرطبي في تفسير الآية السالفة الذكر : «... قال مجاهد : هو سخرية الغني من الفقير.. » . ثم قال :

وبالجملة فينبغي ألا يجترئ أحد على الإستهزاء بمن يقتحمه بعينه إذا رآه رثّ الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبيق في محادثته؛ فلعله أخلص ضميرا وأنقى قلباً ممن هو على ضدّ صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقّره الله، والاستهزاء بمن عظّمه الله.

ولقد بلغ بالسّلف إفراط توقّيهم وتصوّنهم من ذلك أن قال عمرو بن شرَحبيل : لو رأيتُ رجلاً يرضع عنزا فضحكت منه ، لخشيت أن أصنع مثل الذي صنع .

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : البلاء مُوَكّل بالقول ؛ لو سخرت من كلب لخشيت أن أحوّل كلباً.

وقوله تعالى : ﴿وَلاَ نِسَآءٌ مِّن نِسَآءٍ عَسَى أن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنهُنّ﴾ أفرد النساء بالذكر لأن السّخرية منهن أكثر.

قال المفسرون : نزلت في امرأتين من أزواج النبيّ ﷺ سَخِرتا من أم سلمة ، وذلك أنها ربطت حَصْرَيها بسَبيبة - وهو ثوب أبيض ، ومثلها السّبّ - وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجرها ؛ فقالت عائشة لحفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : انظري ! ما تجرُ خلفها كأنه لسان كلب ؛ فهذه كانت سخريتهما.

وقال أنس وابن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : نزلت في نساء النبيّ ﷺ ، عيَّرن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بالقصر .

وقيل : نزلت في عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، أشارت بيدها إلى أم سَلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، يا نبيّ الله إنها لقصيرة .

وقال عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : إن صفية بنت حُيَيّ بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن النساء

يُعَيِّرنَني ، ويقلن لي : يا يهودية بنت يهوديين ! فقال رسول الله ﷺ : «هلا قلت : إن أبي هارون ، وإن عمي موسى ، وإن زوجي محمد» (عليهم الصلاة والسلام) . فأنزل الله هذه الآية.

وفي صحيح الترمذي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ... قالت فقلت : يا رسول الله ، إن صفية امرأة - وقالت بيدها - هكذا؛ يعني أنها قصيرة . فقال: «لقد مزجت بكلمةٍ لو مُزج بها البحر لمزج» ..

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» .

وهذا حديث عظيم يترتب عليه ألا يقطع بعيب أحد لما يرى عليه من صور أعمال الطاعة أو المخالفة ؛ فلعل من يحافظ على الأعمال الظاهرة يعلم الله من قلبه وَصفاً مذموماً لا تصح معه تلك الأعمال . ولعل من رأينا عليه تفريطاً أو معصية يعلم الله من قلبه وَصفاً محمودا يغفر له بسببه . فالأعمال أمارات ظنية لا أدلة قطعية. ويترتب عليها عدم الغلوّ في تعظيم من رأينا عليه أفعالاً صالحة، وعدم الاحتقار لمسلم رأينا عليه أفعالاً سيئة. بل تحتقر وتذم تلك الحالة السيئة ، لا تلك الذات المسيئة . فتدبر هذا، فإنه نظر دقيق، وبالله التوفيق. انتهى ما ذكره القرطبي (بحذف واختصار) .

واعلم أيضاً أيها المسلم والمسلمة : أن مثل هذا الإستهزاء والإحتقار بالمؤمنين والمؤمنات فيه مشابهة بالكفار الذين ذمهم الله تعالى في كتابه على مثل هذا الفعل الشنيع و أخبر أن المجرمين كانوا في الدنيا، يسخرون بالمؤمنين ، ويستهزئون بهم ، ويضحكون منهم ، فيتغامزون بهم، عند مرورهم عليهم، احتقارا لهم وازدراء، فقال رب العزة والجلال :

﴿إنَّ الَّذِينَ أجرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضحَكُونَ ★ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ★ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهلِهِم انقَلَبُوا فَكِهِينَ ★ وَإِذَا رَأَوهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاَءِ لَضَالُّونَ ★ وَمَآ أُرسِلُوا عَلَيهِمْ حَافِظِينَ ★ فَاليَومَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضحَكُونَ ★ عَلَى الأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ★ هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفعَلُونَ﴾ (المطففين : ٢٩-٣٦) .

تنبيـــه : - أيها المسلم والمسلمة - أنك مكرم عندالله ، على أهل الأرض جميعا بإسلامك ، ونعمَ المنّة هي ، فإذا تشبهت بأهل الكتاب في زيّك فقد خلعت عنك ثوب التكريم الذي ألبسك ربك ، فلا تلومن - إذا أذلك الله - إلا نفسك .

وها هم القوم حولنا تشبهوا باليهود والنصارى ، ولبسوا لباس الإفرنج والمشركين ، ظانين أن عندهم العزة ، فما زيدوا إلا ذلة ومهانة .

فاعتبر ، واعلم أن ربك يغضب إذا افتقدك إذ يريدك ، وإذا رآك إذ يبغض أن يراك . انتهى (من كتاب اللباس والزينة لمحمد عبدالحكيم القاضي ص ٦٠٧) .

ثم قال في موضع آخر من كتابه : «قف : يا أيها المختال ساعة مع نفسك ، وقد لبست الفاخر من الثوب وأولعت بالفخم من الرياش ، ولم يهمك شيء بين يديك ولا خلفك ، قف ساعة وسل نفسك : ممَّ أنا وماذا كنت قبل ؟؟

فيجيبك الحق تعالى : ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة إمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا ، إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ، إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيرا﴾ (الإنسان ١-٤) .

ويجيبك : ﴿فلينظر الإنسان ممَّ خلق خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ، إنه على رجعه لقادر ، يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر﴾ (الطارق : ٥ ـ ١٠) .

متى عظمت هذه المضغة الحقيرة ، وهذا الماء المهين ، وهذا التراب المحتقر ـ متى عظم هذا في عين نفسه فظن أنه كبُر !

هيهات أيها المختال : إن الثياب لا تكبر الصغير ، ولا تزيد من قدر الوضيع ، فضع نفسك حيث وضعك ربك ، والتمس القدوة في سبب هدايتك ، وصاحب الفضل في إسلامك ، وهو نبي الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد كان يرقع ثوبه بيده ، ويخصف نعله بيده ، ولا يمشي الهوينا ، وإنما يمشي الهون ، وقد أحبه ربه ، فهل ابتغيت بحب ربك بديلا .

حاشا للمسلم الذي وقر حب الله قلبه ، وطرقت بشائرا لحقيقة خاطره ولبُه أن يصنع ذلك .

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ (الفرقان : ٦٣) . (من كتاب اللباس والزينة ص ٦٠٢) لمحمد عبدالحكيم القاضي .

وذكر صاحب تنوير الأذهان ٢٠٥/٣ : قال بعض الحكماء :

- إن افتخرت بفرسك فالحسن والفراهة له دونك .
- وإن افتخرت بثيابك وآلاتك فالجمال لها دونك .
- وإن افتخرت بآبائك فالفضل فيهم لا فيك .

لو تكلمت هذه الأشياء لقالت : هذه محاسننا ، فما لك من الحسن شيء ، فإن افتخرت فافتخر بمعنى فيك غير خارج عنك ، وإذا أعجبك من الدنيا شيء : فاذكر فناءك وبقاءه ، أو فناءكما جميعاً ، فإذا راقك ما هو لك ، فانظر إلى قرب خروجه من يدك ، وبعد رجوعه إليك ، وطول حسابه عليك ، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر .

♥ حكي أنه حُمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر ، لم ير له نظير ، ففرح به الملك فرحاً شديدا ، فقال لمن عنده من الحكماء : كيف ترى هذا ؟ قال : أراه فقرا حاضرا ومصيبة عاجلة ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : إن انكسر كانت مصيبة لا جبر لها ، وإن سرق صرت فقيرا إليه ، وقد كنت قبل أن يُحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر ، فاتفق أنه انكسر القدح يوماً ، فعظمت المصيبة على الملك ، وقال صدق الحكيم ، ليته لم يُحمل إلينا ! وأنشد بعض الشعراء :

إنما الدنيا كرؤيا فرّحتْ

من رآها ساعة ثم انقضتْ   انتهى

♥ وذكر القرطبي ١٩١/١٨ في تفسير قوله تعالى : ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ حيث قال : وروي أن مطرف بن عبدا لله بن الشخير رأى المهلب ابن أبي صفرة يتبختر في مُطرف خز وجبة خز (مطرف : هو رداء غالي جديد ، منقش ومعلّم بالحرير) فقال له : يا عبد الله ، ما هذه المشية التي يبغضها الله ؟ فقال له : أتعرفني ؟ قال نعم ، أوّلك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة . فمضى المهلب وترك مشيته . نظم الكلام محمود الوراق فقال :

عجبت من معجب بصورته

وكان في الأصل نطفة مذره

وهو غدا بعد حسن صورته

يصير في اللحد جيفة قذره

وهو على تيهه ونخوته

ما بين ثوبيه يحمل العذرة

وقال آخر:

هل في ابن آدم غير الرأس مكرمة

وهو بخمس من الأوساخ مضروبُ

أنــف يســيل وأذن ريحــها سهــك
والعين مرمصــة والثغــر ملهوبُ
يا بن التراب ومأكول التراب غــدا
قصــر فإنـــك مأكول ومشــروبُ

(انتهى ماذكره القرطبي رحمه الله).

فلــنن لــم ينته هذا الســاخر مــن السخرية مع هــذا المسكين : رث الهيئة لابــس الإزار (الفوطــه) والــرداء والعمامــة إتباعــاً لســيد العــرب والعجم ﷺ : فله الحق أن يقول للســاخر منــه كما قــال سيدنـــا أبو حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه لرؤساء الفرس من الكفرة في مجلسهم:

أأترك سنة حبيبي ﷺ لهؤلاء الحمقاء ؟؟ :

حكي أن أبا حــذيفــة بن اليمان رضي الله عنه نزل بلاد فارس مــرة ووافق يوماً أنه أكل الطعام مع جمع من رؤساء الفرس مــن الكفـرة ففــي أثنــاء الطعــام سقطت اللقمــة مــن يـــد أبــي حذيفــة رضي الله عنه ، فرفعها وبدأ يميــط عنـها الأذى ليأكلها ، فمنعــه أحــد الحــاضرين - مخافة لومة أهل فــارس – عــن رفــع اللقمــة الســاقطة ، فغضــب أبــو حذيفة رضي الله عنه على ذلك ، ومسح عنها الأذى فأكلــها أمامــهم ، وذلــك امتـــثالا لأمر النبي ﷺ ثم قال رضي الله عنه : «أأتــرك سنّــة حبيـــبي ﷺ لهــؤلاء الحمقاء» .اهـ

♥ **كأنه قال رضي الله عنه : إنــي لا أخــاف في الله لومــة لائــم ، ولا أتــرك سنة حبيبي ﷺ - مــهما يكــن الأمــر – في أي عصــر ومصــر وزمــان ومكان ، وفي ذلك أنشد بعضهم :**

من يدعي حب النبيّ ﷺ ولم يفد — مــن هـــديه فسفاهة وهـــراءُ
الحــب أول شـــرطه إن كان — صـــــدقــاً : طـــاعة ووفـــاءُ

هذا آخر ما أوردناه في لباس الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم والحمد لله على إتمامه ، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم

الباب الثاني
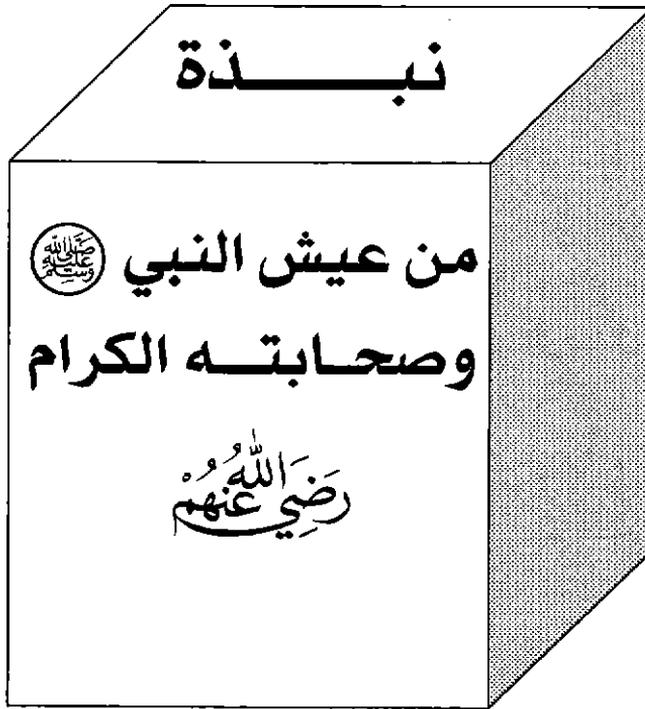
الباب الثاني

نبــــذة من عيش النبي ﷺ وصحــابتـــه الكـــرام رضي الله عنهم

عـن قـــتادة عـن أنـس رضي الله عنه قـال: «لـــم يـأكلِ النـبيُّ ﷺ علـى خِـــوانٍ حتـى مـات ، ومـــا أكـلَ خـبزا مـرققـاً حتـى مـــات». (بخاري ـ كتاب الرقاق ـ رقم ٦٣٠٣) .

ذكـر الحـافظ في الفتـح حيـث قـال : قولـه (ومـا أكـل خـبزا مـرققا حتـى مـات) قال ابن بطال: تـركه عليه الصلاة والسلام الأكـل علـى الخـوان وأكـل المرقـق إنمـا هـو لدفـع طيبـات الدنيـا اختيـارا لطيبات الحياة الدائمة ، والمـال إنمـا يـرغـب فيـه ليستعان بـه علـى الآخرة فلم يحتـج النـبي ﷺ إلى المـال مـن هذا الوجـه، وحاصلـه أن الخبر لا يدل على تفضيـل الفقـر على الغنـى بـل يـدل علـى فضل القناعة والكفاف وعـدم التبسط في مـلاذ الدنيـا ، ويؤيـده حديـث ابـن عمـر رضي الله عنهما «لا يصيـب عبـد مـن الدنيـا شـيئا إلا نقـص مـن درجاتـه ، وإن كـان عنـد الله كريـم» أخرجـه ابـن أبـي الدنيـا قـال المنذري وسنده جيد والله أعلم. انتهى ما في الفتـح .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لقد توفّيَ النـبيُّ ﷺ ومـا في رفّـي من شيءٍ يأكله ذو كبد، إلاَّ شَطرُ شـعيرٍ في رَفٍّ لي، فـأكلت منـه حتـى طال عليَّ، فكِلْتهُ ففني».(بخاري ـ الرقاق ـ رقم : ٦٣٠٤) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «ماشَبعَ آل محمد منذ قدِمَ المدينـة من طعام بُرٍّ ثلاث ليال تِباعـاً حتـى قُبـض» .(بخاري ـ كتـاب الرقـاق ـ رقم الحديث : ٦٣٠٧) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر». (بخاري - كتاب الرقاق - رقم ٦٣٠٨) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «كان فِراشُ رسولُ الله ﷺ من أدَم وحَشوُهُ لِيف». (بخاري - كتاب الرقاق - رقم ٦٣٠٩) .

وعن قتادة قال : «كنا نأتي أنسَ بن مالك رضي الله عنه وخبّازه قائم وقال : كلوا ، فما أعلمُ النبيَّ ﷺ رأى رَغيفاً مرَققاً حتى لحقَ بالله ، ولارأى شاة سَميطاً بعَينهِ قطُّ» (بخاري - كتاب الرقاق - رقم الحديث : ٦٣١٠) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يأتي علينا الشهرُ ما نوقِدُ فيه نارا ، إنما هو التمرُ والماء، إلا أنْ نُؤتى باللُحَيم» . (بخاري - كتاب الرقاق - رقم ٦٣١١) .

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة : «ابنَ أختي ، إن كنّا لننظر إلى الهلالِ ثلاثة أهلةٍ في شهرَين وما أوقِدَتْ في أبياتِ رسولِ الله ﷺ نارٌ. فقلتُ : ماكان يُعيشُكم ؟ قالت : الأسْودان التمرُ والماء ، إلا أنه قد كان لرسولِ الله ﷺ جيران منَ الأنصار كان لهم مَنائِحُ ، وكانوا يَمنحونَ رسولَ الله ﷺ من أبياتهم فيَسقيناه» (بخاري - كتاب الرقاق - رقم ٦٣١٢) .

وعن أنس رضي الله عنه إنه مشى إلى النبي ﷺ بخبز شعير واهالةٍ سنخة ولقد رهن النبي ﷺ درعاً له بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شعير لأهله ، ولقد سمعته يقول : «ما أمسى عند آل محمد صاع برٍ ولا صاع حب وأن عنده لتسع نسوة». (بخاري - كتاب الرقاق)

وعن عمر رضي الله عنه قال : دخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئاً على وسادة من ادمٍ حشوها ليفٌ ، فقلت : يا رسول الله ﷺ ادع الله فليوسع على أمتك ، فإن فارس والروم

قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله ، فقال : أوَ في هذا أنت يا ابن الخطاب ؟؟! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا». (متفق عليه كما في المشكاة كتاب الرقاق) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لقد أخفت في الله وما يخاف أحدٌ ، ولقد أوذيت في الله وما يوذى أحدٌ ، ولقد أتت على ثلثون من بين ليلة ويوم ومالي ولبلالٍ طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبطُ بلال (رواه الترمذي كما في المشكاة كتاب الرقاق).

وعن أبي طلحة رضي الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع فرفعنا عن بطوننا عن حجر حجر ، فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه حجرين. (رواه الترمذي كما في المشكاة كتاب الرقاق).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه إنه أصابهم جوع فاعطاهم رسول الله ﷺ تمرة تمرة » . (رواه الترمذي كما في المشكاة كتاب الرقاق).

وعن محمد بن مهاجر قال : «كان متاع رسول الله ﷺ عند عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) في بيت ينظر إليه كل يوم. قال : وكان ربما اجتمعت إليه قريش ، فأدخلهم في ذلك البيت ، ثم استقبل ذلك المتاع فيقول : هذا ميراث من أكرمكم الله به ، وأعزكم الله به ﷺ ، قال : وكان سريرا مرمولاً بشريط ، ومرفقة من أدَم محشوة بليف، وجفنة وقدح، وقطيفة صوف، كأنها جُرمُقانية ، قال: ورحَى وكنانة فيها أسهم ، وكان في القطيفة أثر وسخ رأسه ﷺ ، فأصيب رجل ، فطلبوا أن يغسلوا بعض ذلك الوسخ ، فيسعط به ، فذكر ذلك لعمر فسعط فبرأ» . (ذكره الأصبهاني في أخلاق النبي ﷺ وآدابه برقم : ٤٩٥، وفي هامشه : هذا أثر منقطع ، وقد رواه أحمد في كتاب الزهد له (ص ٦) ، .. وإسناد أحمد صحيح رجاله ثقات . انتهى .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يعجبه من الدنيا ثلاثة : الطعام والنساء والطيب ، فاصاب إثنين ولم يصب واحدا ، أصاب النساء والطيب ولم يصب الطعام . (رواه احمد كما في المشكاة كتاب الرقاق).

وعن مصعب بن سعد رضي الله عنه قال : «رأى سعد أن له فضلا على من دونه فقال رسول الله ﷺ : هل تنصرون وتـــرزقون إلا بضعفائكم » (رواه البخاري كما في المشكاة كتاب الرقاق) .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين ، وأصحاب الجدّ محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، قمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء». (متفق عليه كما في المشكاة كتاب الرقاق).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً» . (رواه مسلم كما في المشكاة كتاب الرقاق) .

وعن سَهلِ بن سَعدٍ الساعديِّ أنه قال: «مرَّ رجُلٌ علَى رسول الله ﷺ فقال لرجلٍ عندهُ جالس: ما رأيكَ في هذا؟ فقال: رجلٌ من أشراف الناس، هذا والله حرِيٌّ إن خَطبَ أن يُنكحَ، وإن شَفَعَ أن يُشفَّعَ. قال: فسكت رسولُ الله ﷺ ثم مرَّ رجل ، فقال له رسولُ الله ﷺ : ما رأيكَ في هذا ؟ فقال : يا رسولَ الله، هذا رجلٌ من فُقراء المسلمين ، هذا حَرِيٌّ إن خَطبَ أن لا يُنكحَ، وإن شَفَعَ أن لا يشفَّـــع، وإن قال أن لا يُسمَـــعَ لقوله . فقال رسول الله ﷺ : هذا خـــيرٌ من مِلْءِ الأرض من مثـــلِ هذا». (بخاري ـ كتاب الرقاق ـ باب فضل الفقر ـ رقم : ٦٣٠٠)

ذكر الحافظ في الفتح في شرح الحديث المذكور حيث قال : وحاصل كلامه أن الحديث يدل على تفضيل الغنى على الفقر لما

تضمنه من زيادة الثواب بالقرب المالية، إلا إن فسر الأفضل بمعنى الأشرف بالنسبة إلى صفات النفس فالذي حصل للنفس من التطهير للأخلاق والرياضة لسوء الطباع بسبب الفقر أشرف فيترجح الفقر، ولهذا المعنى ذهب جمهور الصوفية إلى ترجيح الفقير الصابر، لأن مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها، وذلك مع الفقر أكثر منه في الغنى انتهى.

وقال ابن الجوزي : صورة الاختلاف في فقير ليس بحريص وغني ليس بممسك إذ لا يخفى أن الفقير القانع أفضل من الغني البخيل، وأن الغني المنفق أفضل من الفقير الحريص، قال: وكل ما يراد لغيره ولا يراد لعينه ينبغي أن يضاف إلى مقصوده فبه يظهر فضله، فالمال ليس محذورا لعينه بل لكونه قد يعوق عن الله وكذا العكس، فكم من غني لم يشغله غناه عن الله، وكم من فقير شغله فقره عن الله، إلى أن قال : وإن أخذت بالأكثر فالفقير عن الخطر أبعد لأن فتنة الغنى أشد من فتنة الفقر، ومن العصمة أن لا تجد. انتهى ما في الفتح .

وعن الأعمشُ قال: سمعتُ أبا وائلٍ قال: «عُدنـا خبّابـاً فقال: هاجَرنا معَ النبيِّ ﷺ نـريدُ وَجهَ اللّه، فوقعَ أجرُنا على اللّه تعالى، فمنّا من مضى لم يأخذْ مـن أجـرِه شيئاً، منهم مُصعَب بن عُميرٍ قُتِلَ يومَ أحدٍ وترك نَمِرَة، فإذا غطينا رأسَه بَدَت رِجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرَنا النبيُّ ﷺ أن نغطّيَ رأسَه ونجعلَ على رِجلَيه منَ الإذخر. ومنّا مَن أينَعَتْ لـه ثمرَتُهُ فهو يَهدِبُها»

(رواه البخاري ـ كتاب الرقاق ـ باب فضل الفقر ـ رقم : ٦٣٠١) .

ذكر الحافظ في الفتح حيث قال : قوله (منهم مصعب بن عمير) بصيغة التصغير هو ابن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصي ، يجتمع مع النبي ﷺ في قصي ، وكان يكنى أبا عبد الله،

من السابقين إلى الإسلام وإلى هجرة المدينة، قال البراء: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان القرآن أخرجه المصنف في أوائل الهجرة .

وذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ أرسله مع أهل العقبة الأولى يقرئهم ويعلمهم، وكان مصعب وهو بمكة في ثروة ونعمة فلما هاجر صار في قلة، فأخرج الترمذي من طريق محمد بن كعب حدثني من سمع عليا يقول : « بينما نحن في المسجد إذ دخل علينا مصعب بن عمير (رضي الله عنه) وما عليه إلا بردة له مرقوعة بفروة ،فبكى رسول الله ﷺ لما رآه للذي كان فيه من النعم والذي هو فيه اليوم». انتهى ما في الفتح .

وذكر القرطبي في تفسيره : ١٣٥/١٩ قصة مصعب بن عمير رضي الله عنه وقال : ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ فمصعب بن عمير رضي الله عنه ، وقى رسول الله ﷺ بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه ﷺ حتى نفذت المشاقص في جوفه ـ وهي السهام ـ فلما رآه رسول الله ﷺ متشخطاً في دمه قال : «عند الله احتسبك» وقال لأصحابه : «لقد رأيته عليه بردان ما تعرف قيمتهما ، وإن شراك نعليه من ذهب» انتهى ما ذكره القرطبي رحمه الله .

وعن عِمرانَ بن حُصَينٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «اطَّلَعْت في الجنة فرأيت أكثرَ أهلِها الفقراءَ، واطَّلَعْت في النار فرأيت أكثر أهلِها النساء». (بخاري ـ الرقاق ـ رقم الحديث ٦٣٠٢) .

وذكر الحافظ في الفتح حيث قال : قال ابن بطال : ليس قوله : «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء» يوجب فضل الفقير على الغني، وإنما معناه : أن الفقراء في الدنيا أكثر من الأغنياء فأخبر عن ذلك كما تقول أكثر أهل الدنيا الفقراء إخبارا

عن الحال، وليس الفقر أدخلهم الجنة وإنما دخلوا بصلاحهم مع الفقر، فإن الفقير إذ لم يكن صالحا لا يفضل .

قلت : ظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع من الدنيا كما أن فيه تحريض النساء على المحافظة على أمر الدين لئلا يدخلن النار كما تقدم تقرير ذلك في كتاب الإيمان في حديث «تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار، قيل: بم قال: بكفرهن، قيل يكفرن بالله قال: يكفرون بالإحسان» . انتهى ما في الفتح .

عن مجاهدٌ أنَّ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول: «الله الذي لا إلهَ إلا هو ، إنْ كنتُ لأعتمدُ بكبدي على الأرض منَ الجوع ، وإن كنت لأشد الحجرَ على بطني منَ الجوع . ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يَخرجونَ منه ، فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليُشبعَني ، فمرَّ ولم يفعَل ، ثم مرَّ بي عمرُ فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليشبعني ، فمرَّ فلم يفعل، ثمَّ مرَّ بي أبو القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتبسمَ حينَ رآني وعرَف ما في نفسي وما في وَجهي ، ثم قال : يا أبا هِرٍّ ، قلتُ : لبَّيكَ رسول الله قال : الحَقْ ، ومَضى . فتبعته ، فدخل فاستأذَنَ فأذن لي ، فدخَلَ فوجد لبَناً في قدَح فقال : من أين هذا اللبن ؟ قالوا : أهداه لكَ فلان ـ أو فلانة ـ قال : أبا هِرّ ، قلت : لبَّيكَ يا رسول الله ، قال : الحَقْ إلى أهلِ الصُفّة فادعُهم لي . قال : وأهلُ الصفة أضيافُ الإسلام ، لا يأوُون على أهلٍ ولا مال ولا على أحدٍ ، إذا أتتهُ صدَقة بعثَ بها إليهم ولم يَتناوَلْ منها شيئاً ، وإذا أتته هديةٌ أرسلَ إليهم وأصابَ منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك ، فقلت: وما هذا اللبن في أهلِ الصفة ؟ كنتُ أحقَّ أن أصِيب من هذا اللَّبن شَربةً أتقوَّى بها ، فإذا جاؤوا أمرني فكنتُ أنا أعطيهم ، وما عسى أن يَبلُغَني من هذا اللبن، ولم يكنْ من طاعة اللهِ وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُد، فأتيتهم فدعَوتهم ،

فأقبَلوا فاستأذنوا فأذِنَ لهم ، وأخذوا مجالِسَهم من البيت. قال : يا أبا هرّ ، قلت : لبيك يا رسولَ الله، قال : خذ فأعطهم ، فأخَذتُ القدح فجعلتُ أعطيه الرجلَ فيَشرَبُ حتى يَروىَ، ثم يَرد عليَّ القدَح فأعطيهِ الرجلَ فيشرَبُ حتى يَروَى ثم يَردُ عليَّ القدَح ، فيشرَبُ حتى يَروَى » (بخاري - كتاب الرقاق - باب كيفَ كان عيشُ النبيِّ ﷺ وأصحابهِ، وتخليهم رقم : ٦٣٠٥) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : إنكم تقولون : أكثر أبو هريرة - أي الرواية - عن النبي ﷺ والله الموعد ، وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم - يمنعهم - الصفق بالأسواق - أي البيع والشراء - وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم - يريد أنهم أصحاب زراعة - وكنت امرءا مسكينا ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني وقال النبي ﷺ يوماً : « لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه - أي يضم ثوبه - إلى صدره فينسى من مقالتي شيئا أبدا» . فبسطت نمرة - أي شملة مخططة - ليس عليّ ثوب غيرها حتى قضى النبي ﷺ مقالته ، ثم جمعتها إلى صدري ، فو الذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته ذلك إلى يومي هذا . (متفق عليه ، كما في المشكاة كتاب الشمائل رقم الحديث : ٥٨٩٦ ، وأورده البخاري في صحيحه برقم : ٢١٧٩ في كتاب المزارعة).

قوله : «والله الموعد» أي موعدنا ، فيظهر عنده صدق الصادق وكذب الكاذب لأن الأسرار تنكشف هناك). (كما في المرقاة شرح المشكاة) .

عن قيس قال : سمعتُ سعدا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «إني لأوّل العرَب رمى بسَهم في سبيل الله، ورأيتنا نَغزو ومالنا طعامُ إلا ورقَ الحُبْلةِ وهذا السَّمُر، وإن أحدَنا ليَضعُ كما تضعُ الشاة ماله خِلط، ثم أصبحت بنو أسد تعزّرني علَى الإسلام، خِبت إذا وضلّ سَعْيي» (بخاري - كتاب الرقاق - رقم ٦٣٠٦) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء أما إزارٌ وأما كساءٌ قد ربطوا في أعناقهم فمنهما ما يبلغ نصف الساقين ، وما منهما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته» . (رواه البخاري كما في المشكاة كتاب الرقاق) .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين فقالت عائشة رضي الله عنها : لِمَ يا رسول الله ؟ قال : «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً ، يا عائشة لا تردي المساكين ولو بشق تمرة ، يا عائشة أحبيّ المساكين وقرّبيهم فإن الله يقرّبك يوم القيامة» . (رواه الترمذي في سننه كما في المشكاة كتاب الرقاق) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أبغوني في ضعفائكم فإنما ترزقون أو تنصرون بضعفائكم » .(رواه أبو داود).

وعن عبد الله بن أسيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «إنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين » . (رواه في شرح السنة كما في المشكاة كتاب الرقاق) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تغبطن فاجرا بنعمة فإنك لا تدري ما لاقٍ بعد موته إن له عند الله قاتلاً لا يموت يعني النار» . (رواه في شرح السنة كما في المشكاة كتاب الرقاق).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وسنته وإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة» (رواه في شرح السنة). المصدر السابق .

قوله صلى الله عليه وسلم : « الدنيا سجن المؤمن» وفيه **قصة عجيبة** : كما في كشف الخفا للعجلوني ٤٩٥/١ حيث قال : ذكر المناوي في شرح الجامع الصغير : أن الحافظ ابن حجر لما كان قاضي القضاة مر

يوماً بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة ، فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار وأثوابه متلطخة بالزيت ، وهو في غاية من الرثاثة والشناعة ، فقبض على لجام بغلته ، وقال : يا شيخ الإسلام ! تزعم أن نبيكم ﷺ قال :«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» فأي سجن أنت فيه ؟ وأي جنة أنا فيها ؟

فقال : أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في السجن ، وأنت بالنسبة لما أعد لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنك في الجنة ، فأسلم اليهودي » انتهى .

وذكر القرطبي في تفسيره : ١٠/٧٨ وقال : ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها ، فسألتني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها ، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئاً ، ثم قامت فخرجت ، فدخل عليّ النبي ﷺ فحدّثته حديثها ، فقال النبي ﷺ : «من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» .

ثم قال القرطبي رحمه الله : ففي هذا الحديث ما يدل على أن البنات بلية ، ثم أخبر أن في الصبر عليهن والإحسان عليهن ما يقي من النار .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها (أي فمها) تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها ، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما ؛ فأعجبني شأنها ، فذكرتُ الذي صنعت (المسكينة المذكورة) لرسول الله ﷺ فقال : «إن الله عز وجل قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار» أخرجه مسلم رحمه الله . انتهى ما ذكره القرطبي .

(**تفكري أختاه** ! هـذا هـو عيـش أمـك أم المؤمنــين زوجـة سيد الأنبياء والمرسلين ـ عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم بأنـه ليس في بيتـها عندئـذ غـير تمـرة واحـدة ، فمـع ذلـك كـانت شـاكرة لربـها وذاكـرة لـه سـبحانه كثـيرا ، وكـانت قانتـة ، تائبـة ، خاشعة وعابدة ، وكانت تنفق في سـبيل المـولى عـز وجـل مـا تيسـر من المال .

وانظري أيضاً إلى شـأن المرأة المسـكينة هـذه : كيـف تحـب بناتها في هذه الحالة الصعبة والضيقة ـ فإنها حينما رفعت إلى فمـها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها ، فشقت التمرة الـتي كـانت تريـد أن تأكلها بينهما ، ولم تأكل منها شيئا . فهذا هـو شـأن حـب الأم مـع أبنـائها وبنـاتها ، فعلينا جميعاً أن نكون بارين بأمهاتنا وآبائنا .

ثـم علـى الرجـل الـذي ليـس لـه إلا البنـات فعليـه الصـبر والإحسـان عليـهن فـإن النـبي ﷺ يقـول : «مـن ابتلـي مـن البنـات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار» الحديث وقد تقدم .

وعـن علـي رضي الله عنه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : «إن السـقط ليراغم ربه إذا أدخل أبويه النار ، فقال : أيها السقط المراغـم ربـه ، أدخل أبويك الجنـة ، فيجرّهمـا بسَرَره حتـى يُدخلـهما الجنـة» .

(رواه ابن ماجه كما في المشكاة باب البكاء على الميت) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قـال قـال رسـول الله ﷺ : «مـن كـانت له أنثى ولا يئدها ولم يُهنها ، ولم يؤثـر ولده عليها ـ يعنى الذكـور ـ أدخله الله الجنة» (رواه أبو داود كما في المشكاة رقم : ٤٩٧٩) .

وذكر القرطـبي في تفسـيره : ١٠/ ٢٧٠ حيـث قـال : وروي عـن النبي ﷺ قال : «لقد رأيت رجلا من أمتي امر به إلى النار ، فتعلـق بـه بناتـه وجعلـن يصرخـن ويقلـن : ربّ إنـه كـان يحسـن إلينـا في الدنيا فرحمه الله بهن» . انتهى .

فائـدة جليلة : علم من هذه الروايـات المذكـورة أعـلاه : أن المرأة قد وضع الله فيها خيرا كثيرا ، لأنها هي السبب الوحيد لإنجاب الأولاد من البنين والبنات بإذن الله ، فـإذا مـات منـهم أحـد قبـل أن يبلغ سن التكليف يكون لأبويه حجاباً من النار ، سواء كـان ذكـرا أو أنثى ، وفي ذلك أحاديث كثيرة تركناها للاختصار .

فـالرجل الـذي يضـرب امرأتـه علـى أنـها لا تلـد ـ دائمـاً ـ إلا البنات فعليه أن يفكر في هذه الأحاديث وكـرم الله سـبحانه وفضلـه عليه بأنه يرحمه ويُـدخله الجنة بسـبب البنـات إذا صـبر عليـهن وأحسن عليهن .

ألم يعلم هــذا الجاهل بأن الوهـاب ـ أي الأولاد ـ هـو الله تعـالى لأنـه يعطي كلا على قدر استحقاقه ، ومـا ذلـك في أيـدي النسـاء ولا لغيرهن . وقـد قـال تعـالى : ﴿يـهب لـن يشاء إناثـاً﴾ مـن الأولاد فـلا يجعل معهن ذكورا مثل ما وهب لشعيب ولـوط عليـهما السـلام ... وفي الحديـث : «مـن بركـة المـرأة تبكيرهـا بالبنـات» أي يكـون أول مولودها بنتاً حيـث بـدأ بالإنـاث (الحديث أخرجه ابـن عساكر كمـا في «الفتح الكبير ٣/١٤١) . ﴿ويهب لمن يشاء الذكـور﴾ مـن الأولاد ولا يكـون فيهم إناث من غير أن يكون لذلـك مدخـل لأحـد ومجـال اعـتراض ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾ أي يقرن بـين الصنفـين فيـهما جميعـاً بأن يولد له الذكور والإناث ﴿ويجعـل من يشاء عقيـماً﴾ فـلا تلـد ولا يولـد لـه (الآيـة مـن سـورة الشـورى : ٤٩) (ملتقـط مـن «تنويـر الأذهان من تفسير روح البيان ٣/٤٩٥) بحذف واختصار) .

قيـل : كـانت امـرأة أبـي حمـزة الضـبي شـاعرة وقـد هجرهـا زوجها حين ولدت بنتاً يوماً بخبائها ، فإذا هي تقول :

مـا لأبي حمـزة لا يأتيـنا	يظـل في البيت الذي يلينا
غضـبان ألا نلـد البنيـنا	تـالله مـا ذلك بأيدينـا

وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالأرض لزراعينا
تنبت ما قد زرعوه فينا

فرقَ لها ـ أبو حمزة ـ وصالحها (ودخل البيت).

وذكر القرطبي في تفسيره : ٣/٦٢ حيث قال : وأنشد ثعلب :

إنما الأرحام أر ضون لنا محترثات
فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات

ففرج المرأة كالأرض والنطفة كالبذر ، والولد كالنبات . انتهى .

فمن ضرب امرأته على أنها لا تلد إلا البنات أو على غير ذلك من الأمور الصغيرة أو الكبيرة فليسمع قول أمه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فإنها تقول :

«ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة قط ، ولا ضرب خادماً قط ، ولا ضرب بيده شيئاً قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله عز وجل ، ولا نيل منه فانتقم من صاحبه إلا أن تنتهك محارمه فينتقم» .

(رواه البخاري كما في الفتح ٦/٣٥٦٠ ، ومسلم في صحيحه ٤/٧٩ ، ومالك في الموطأ ٢/٩٠٢ وأبو داود ٤/٤٧٨٥) .

هذا من أخلاق نبيك العظيمة وشمائله ﷺ الكريمة ، فانتبه أيها العريس .

وفي رواية لمسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : كنت أضرب غلاماً لي ، فسمعت من خلفي صوتاً : «اعلم أبا مسعود : لله أقدر عليك منك عليه» فالتفتُّ فإذا هو رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، هو حُر لوجه الله . فقال : «أمَ لو لم تفعل للفحتك النار ـ أو لمستك النار ـ (رواه مسلم كما في مشكاة ـ رقم الحديث : ٣٣٥٣) .

فعلم من ذلك : أنه إذا غضب أحد على غيره من الرجال أو النساء فليذكر غضب الله عليه عندئذ ، فلا يصدر منه ما أراد الشيطان عدو الإنسان منه ، إن شاء الله .

وفي المرقاة ٣٤٧/٦ : قال النووي رحمه الله : فيه الحث على الرفق بالمماليك وحسن صحبتهم . اهـ .

قال أبو طلحة : إذا كنا مأمورين بالرفق مع المماليك وحسن صحبتهم ، فما قولك في شريكة حياتك يعني زوجتك التي هي سكنك الزاهر ، ومودتك والرحمة التي خلقها الله لك فقال رب العزة والجلال : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم : ٢١) .

فحري بنا أن نحسّن أخلاقنا مع زوجاتنا ، ونمنحهن ما أوجبه الله علينا بكل أمانة وإخلاص لينادي علينا المنادي يوم القيامة : ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون﴾ (الزخرف : ٧١) .

وهذا آخر ما أوردناه في هذا الكتاب ، وقد استراح القلم بحمد الله وتوفيقه من تأليف هذا الكتاب في أوائل شهر المحرم عام ١٤٢٤هـ بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وما توفيقي إلا بالله ، اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

اللهم اجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهك الكريم واجعله لي أجرا وذخرا بعد ما يأتيني اليقين ، وينقطع عمل العاملين . آمين .

والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين

أبو طلحة

رسوم تـوضيحية
لبعــض
أصـناف اللـباس

زي رجالي كامل

دراعة الرجال

جبّــة

الإزار للرجــال

القميـص
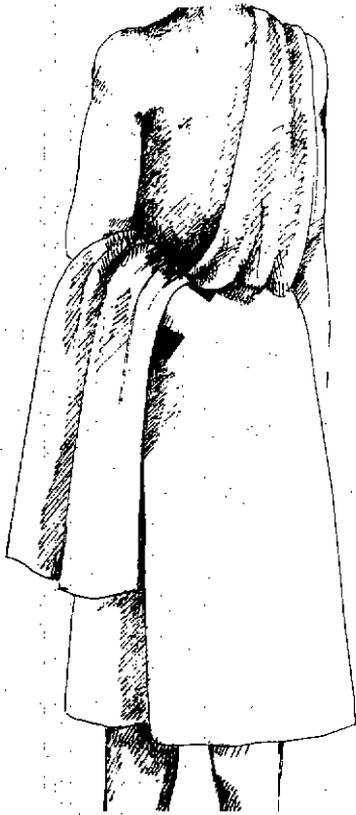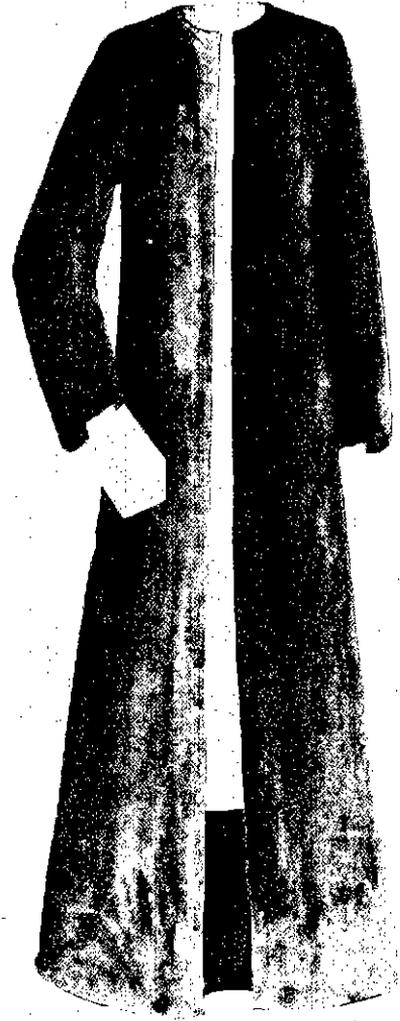
البرده للرجـال
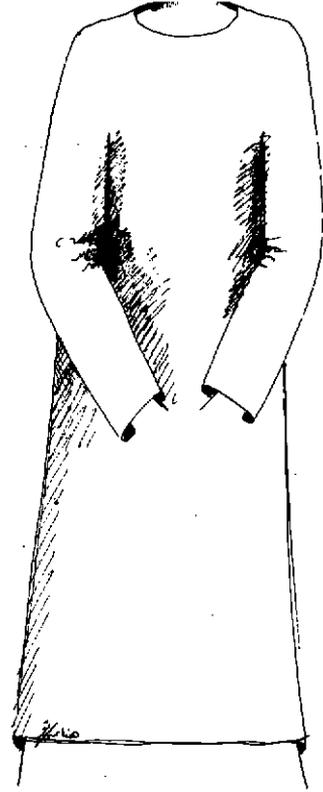
العمامة وعذبتها من الخلف

العمامة وعذبتها من الجانب

القلنسوة القصيرة

القلنسوة الطويلة

الشملة للرجـال

البرنـس للنسـاء

الطيلســان على الرأس

الطيلســان على الكتــف

السـراويل

الإزار في العصـر العباسـي .

إحدى صُوَر الخمار للنساء

العصابة للنساء

العبـاءة

عبـاءة غير مقلّمـة

فهـــرس الكـــتاب

والحمد لله رب العالمين